

أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ
نُوحًا وَعِيسَىٰ
وَالسَّلَامَةَ

دار السلام للنشر والتوزيع

شارع الأمير عبد العزيز بن جلوي (الضباب سابقاً) مقابل العرقة التجارية

المملكة العربية السعودية ص.ب: ٢٢٧٤٣ الرياض ١١٤١٦

هاتف: ٤٠٣٣٩٦٢ - ٤٠٤٣٤٣٢ - ٠٠٩٦٦-١-٤٠٢١٦٥٩ فاكس: ٠٠٩٦٦-١-٤٠٢١٦٥٩



E-mail: darussalam@awalnet.net.sa, riyadh@da-us-salam.com Website: www.darussalamksa.com

4644945	فاكس :	00966-1-4614483	تلفون :	دار السلام العليا
4735221	فاكس :	00966-1-4735220	تلفون :	دار السلام الممنز
6336270	فاكس :	00966-2-6879254	تلفون :	دار السلام جدة
8151121	فاكس :	00966-503417155	تلفون :	دار السلام المدينة المنورة:
0500710328	فاكس :	00966-7-2207055	تلفون :	دار السلام خميس مشيط
8691551	فاكس :	00966-3-8692900	تلفون :	دار السلام الخبر
5632624	فاكس :	00971-6-5634623	تلفون :	دار السلام الشارقة
7354072	فاكس :	0092-42-7240024	تلفون :	دار السلام باكستان
208-5394889	فاكس :	0044-208-539 4885	تلفون :	دار السلام لندن
718-6251511	فاكس :	001-718-6255925	تلفون :	دار السلام نيويورك
7220431	فاكس :	001-713-7220419	تلفون :	دار السلام هيوستن
77100749	فاكس :	00603-77109750	تلفون :	دار السلام ماليزيا

© مكتبة دار السلام، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المعتاز، عبدالله محمد

نوح عليه السلام: / عبدالله محمد المعتاز. الرياض، ١٤٣٤هـ

ص: ١١٢، مقاس ٢١ X ١٤ سم

ردمك: ١-٣٠٠-٥٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١-المسيح (عليه الصلاة والسلام) -٢- قصص القرآن

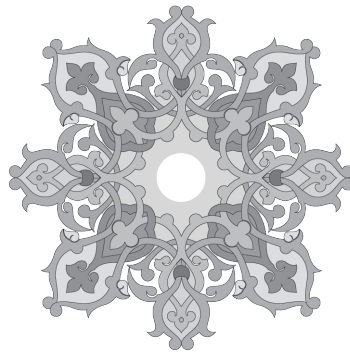
٣- قصص الأنبياء أ. العنوان

ديوي ٢٢٩، ٥ ١٤٣٤ / ٥٨١٧

رقم الإيداع: ١٤٣٤ / ٥٨١٧

ردمك: ١-٣٠٠-٥٠٠-٦٠٣-٩٧٨

أُولُوا الْعُزْمِ مِنَ الرُّسُلِ
نُورٌ عَلَى السَّلَامِ



تأليف الشيخ

عبدالله بن محمد بن محمد معتمر

مؤسس إدارة المساجد والمشاريع الخيرية

والمشرف العام على مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع



دار السلام للنشر والتوزيع

الرياض - المملكة العربية السعودية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة



الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأصلي على نبينا وحبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حتى آتاه اليقين، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذا كتاب عن قصص نوح ﷺ مستقى من القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣]، وفي هذه القصص عبرة للمعتبرين وفائدة للقارئ المتأملين وتذكير للغافلين وتثبيت لرسولنا الكريم وللدعاة والعلماء والواعظين وللناس أجمعين قال تعالى: ﴿ فَأَقْصِصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: ١١١]، وقال: ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ [هود: ١٢٠].

وفي صبر نوح الذي دعا قومه آلاف سنة إلا خمسين عامًا حث على
الصبر وتوجيهه إليه قال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر: ١-٣].
أسأل الله تعالى أن ينفعنا بقصص الأنبياء وأن يجمعنا بهم في جنات
النعيم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب
العالمين.

مؤسس إدارة المساجد والمشاريع الخيرية

عبد الله بن محمد الصالح المعناز

ترجمة نوح ﷺ



هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قين بن أنوش بن شيث بن آدم ﷺ.

ولد بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره وذكرها ابن جرير في تاريخ الأمم والملوك وبينه وبين آدم عشرة قرون.

عن زيد بن سلام، قال: سمعتُ أبا سلام، قال: سمعتُ أبا أمامة، أن رجلاً، قال: يا رسول الله، أنبيي كان آدم؟ قال: نعم، مكلم، قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون^(١).

وقيل: إن بينهم قرونًا طويلة وألفاً من السنين حيث أن المراد بالقرن الجليل من الناس كما قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ١٧]، وقوله: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨].

وقول الرسول ﷺ: "خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي"^(٢). الحديث

(١) صحيح ابن حبان (٦١١٩) والطبراني في الكبير (٥٧٤٥) والحاكم في المستدرک صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (المستدرک ٢ / ٢٦٢).

(٢) متفق عليه البخاري في فضائل الصحابة (٣٦٥١) ومسلم في فضائل الصحابة (٢١١ / ٢٥٣٣).

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴾ [المؤمنون: ٤٢]، وقال: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ ﴾ [مریم: ١٧٤].

أما بعثته فكانت وعمره خمسون عامًا وقيل: ثلاثمائة وخمسين عامًا وقيل: أربعمائة وثمانين عامًا كما قال ابن جرير وابن عباس^(١).

ذكرت قصص نوح في كل من الأعراف ويونس وهود والأنبياء والمؤمنون والشعراء والعنكبوت والصفافات واقتربت ونوح والنساء والأنعام وبراءة وغافر والشورى وق والذاريات والنجم وص والأحزاب والإسراء وإبراهيم والحديد والتحريم وكان الذين على الإسلام قبل نوح وبينهم وبين آدم عشرة قرون لما رواه الحاكم في مستدركه: "كان بين آدم ونوح عشرة قرون". (الحاكم: ٣٦٥٤)

ثم حدثت عبادة الأصنام فبعث الله نوحًا ﷺ فعبدوا ودًا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرا كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَا نَدْرَأُ الْهَتْمَ وَلَا نُدْرِنُ وَدًا وَلَا سِوَاعًا وَلَا يُغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢٣].

والمدة التي حدثت فيها عبادة الأصنام بعد عشرة قرون طويلة تقدر بألوف السنين وذلك على قول: إن عشرة القرون التي ورد ذكرها بين آدم ونوح هي القرون التي كان قوم نوح فيها على الإسلام وليست كل المدة

(١) تاريخ الأمم والملوك (١ / ١٧٩).

بينهما ففي الطبقات عن عكرمة: "كَانَ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ عَشْرَةُ قُرُونٍ كُلُّهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ". (ابن سعد: ٤٢/١)

حيث قال عكرمة: "كُلُّهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ" وقد يكون بينهما قرون كثيرة ليست على الإسلام غير هذه العشرة والله أعلم.

نوح - عليه السلام - هو أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض؛ وذلك بعدما تحولوا إلى عبادة الأصنام وأمعنوا في الضلالة والكفر.

جاء في تفسير الطبري عن عكرمة قال: " كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ". (الطبري ٦٣٩/٢٣١)

وقد ذكر الله - عز وجل - في كتابه أسماء الأصنام التي كان يعبدها قوم نوح، مما جاء على لسان أشرافهم: ﴿ وَقَالُوا لَا نَدْرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا نَدْرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴿ (نوح: ٢٣ - ٢٤).

وقد لبث نوح - عليه السلام - في قومه زمناً طويلاً يدعوهم إلى عبادة الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ ﴾ (العنكبوت: ١٤).

٩٥٠ سنة وهو يدعوهم إلى عبادة الله، ولكن لم تؤت ثمارها فيهم، فلم يؤمن برسالته إلا القليل منهم، وكان الوالد إذا بلغ ولده سن الرشد يوصيه أن لا يتبع نوحاً أبداً ما عاش، لذا توارثوا الإصرار على

الشرك، وأمعنوا في العصيان، فقال نوح -عليه السلام- لقومه: إني محذركم من عذاب أليم، فاعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً؛ لأنني أخاف عليكم إن عبدتم غيره أو أشركتم معه سواه أن يعذبكم يوم القيامة عذاباً شديداً: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْإِسْمِ ﴿٢٦﴾ (هود: ٢٥ - ٢٦).

ولكن قوم نوح لم يستجيبوا لنصيحته، ولم يأبهوا لإندار الله لهم، وأنكروا عليه أن يكون نبياً لهم: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا زَنَّاكَ إِلَّا بَشْرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَزَّاكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادْيِ الرَّأْيِ وَمَا زَنَّا لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ (هود: ٢٧).

استمر نوح -عليه السلام- في دعوته، محاولاً إقناع قومه بأسلوب هين لين، وأخذ يحاورهم ويجادلهم: ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَعَآئِنِي رَحْمَةً مِّن عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنزَلْنَاكُمْوهَا وَأنتُمْ لها كَرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقَوْمِ لَا سَأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَآ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُّلكُوا رَبِّهِمْ وَلِكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقَوْمِ مَن يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طردْتُهُمْ أَفلا نَذْكُرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ (هود: ٢٨ - ٣١).

لم تؤثر هذه الكلمات في نفوس القوم، بل ردوا عليه في عناد:
﴿ قَالُوا يَنْوُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ
الصّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ
نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴾ (هود: ٣٢ - ٣٤).

وبعد أن ضاق نوح ذرعاً بقومه لجأ إلى ربه؛ مستغيثاً به مما يلاقي
من قومه من إغراض، فقال: يا رب، إني دعوت قومي إلى الإيمان بك،
وترك عبادة الأصنام، وقد حرصت على إيمانهم، فلم أذع مناسبة إلا
وقد دعوتهم فيها، سواء في الليل أو النهار، فلم يزد هم حرصي
ودعوتي لهم إلا تمرداً وعصياناً، ثم إني دعوتهم مرة بعد أخرى بأساليب
مختلفة، فحيناً أدعوهم جهراً في مجتمعاتهم، وحيناً أنفرد ببعضهم سراً،
ولا فائدة.

حالة الناس قبل بعثة نوح ﷺ



كان الناس منذ آدم إلى بعثة نوح ﷺ أمة واحدة مدة عشرة قرون كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كَانَ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ عَشْرَةُ قُرُونٍ كُلُّهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ"^(١).

وقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وكان في قوم نوح ﷺ رجال صالحون فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون عليها أنصابًا وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت.

عن محمد بن قيس رضي الله عنه **﴿وَيَعُوقُ وَنَسْرًا﴾** قال: "كانوا قومًا صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا، وجاء آخرون دبّ إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يُسقون المطر فعبدوهم"^(٢).

(١) رواه ابن سعد في الطبقات ١/٤٢.

(٢) رواه ابن جرير ٢٣/٧٣٩.

وعن أنس أن النبي ﷺ قال: "أَوَّلُ نَبِيٍّ أُرْسِلَ نُوحٌ" (١).

وعن السدي في قوله: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٣]

قال: "بيان من ربكم" (٢).

وعن قتادة أن نوحًا بعث من الجزيرة وهو أول رسول بعث إلى أهل الأرض بالجزيرة العربية لما حدث فيها الشرك بعبادة الأصنام.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۚ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩].

يذكر الله تعالى رسوله محمدًا ﷺ بأنه أرسل نوحًا إلى قومه لما عبدوا الأصنام لما نحتوا أسماء رجال صالحين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وقد قال لهم نوح: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ فهو خالقكم ورازقكم والمتصرف فيكم والمستحق للعبادة والدعاء وأنكم إذا استمررتم على الشرك والتكذيب فسوف يأتيكم عذاب الله العظيم ولكن أشرف قومه وسادتهم ورؤسائهم وكبرائهم وقادتهم قالوا له: ﴿إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠]، فنفى نوح عن نفسه الضلالة وقال: ﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦١].

(١) رواه ابن أبي حاتم (٨٦٢٢) ٥/١٥٠٤.

(٢) انظر الدر المنثور ٣/٤٨٣.

لقد أرسلني الله تعالى إليكم ليبين لكم الحق والخير والهدى والصلاح
وأنهاكم عن الشرك والجهل والضلال وأدعوكم إلى الإيمان بالله وطاعته
وعبادته وحده لا شريك له وأحذركم من الشرك فأنا ناصح أحب الخير لكم
ولنفسي والمغفرة والثواب للمؤمنين ولدي علم من الله أبلغكم به ﴿وَأَعْلَمُ
مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٢]، فأنا بشر من جنسكم تعرفونني نسباً
وصدقاً وأمانة أنذركم من عقاب الله إذا لم تؤمنوا بما أدعوكم إليه.

واستمر في دعوتهم بكل الوسائل ألف سنة إلا خمسين عاماً فلم يؤمن
منهم إلا القليل وقيل: عددهم مائة والله أعلم.

أثر دعوة نوح في قومه



لم تترك دعوة نوح - عليه السلام - في قومه إلا أثراً ضئيلاً كما صرح
القرآن: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (هود: ٤٠)، أما الأكثرون فقد تبرموا
من دعوته وكذبوه ووصموه بالجنون، وحالوا بينه وبين تبليغ رسالته
بأنواع التخويف والأذى: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ
وَأَزْدُجِرَ﴾ (القمر: ٩)، كما هددوه بالرجم: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَنْوُحْ لَتَكُونَنَّ
مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ (الشعراء: ١١٦). بعدها تبين لنوح - عليه السلام - أن
هؤلاء لا ينفعهم دعوة الله - عز وجل -، وإن تركوا متمادين في ضلالهم
أضلوا غيرهم عن الحق، ونشروا آثامهم، وانتقل فسادهم إلى ذريتهم

بالوراثة، فهم لا يلدون إلا من كان على شاكلتهم في الكفر والفجور، عندئذ لجأ إلى ربه يشكو قومه: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَيَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء: ١١٧ - ١١٨).

كما دعا على قومه بالهلاك وأن لا يترك على الأرض منهم أحداً: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوْا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوْا إِلَّا فٰجِرًا كَفَّارًا ﴾ (نوح: ٢٦ - ٢٧).

استجاب الله - عز وجل - لدعاء نوح - عليه السلام - وأراد سبحانه قبل أن يهلك القوم أن يهبئ له وللمؤمنين أسباب النجاة، فأمره - عز وجل - أن يصنع سفينة النجاة، وأعلمه أنه سيكون أثناء صنعها محاطاً بعنايته، ونهاه أن يدعو للكفار بالنجاة بعد أن أصروا على كفرهم؛ لأنه حكم عليهم بالغرق.

شرع نوح - عليه السلام - في صنع السفينة، وبدأ قومه يستهزؤون به بأنه قد تحول من داع إلى الله إلى نجار، ويقولون: ماذا تقصد يا نوح بهذه السفينة؟ وأين الماء الذي سيحملها وهي في البر بعيدة عن البحر؟

وكان - عليه السلام - إزاء سخريتهم يقول لهم: إن كنتم تهزؤون بي وبمن معي من الذين آمنوا، فإننا سنهزأ بكم عمّا قريب، وسوف تعلمون من سيأتيه عذاب يذله في الدنيا، كما سيحل عليه في الآخرة

عذاب دائم خالد: ﴿ وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ (هود: ٣٧ - ٣٩).

انتهى نوح -عليه السلام- من صنع السفينة، وظهرت علامات بدء العذاب، وهي تفجر الماء من الأرض، فأمر الله -عز وجل- نوحاً أن يجمع من كل صنف من الأحياء والحيوانات زوجين، ذكراً وأنثى؛ ليحملها معه في السفينة؛ لأجل أن تبقى بعد غرق سائر الأحياء فتتناسل ويبقى نوعها على الأرض، كذلك أمر الله نوحاً أن يحمل معه في السفينة جميع أهله وأقاربه باستثناء اثنين منهم كفرا بالله، وهما إحدى زوجاته وأحد أبنائه، كما أمره أن يحمل معه المؤمنين من غير أقاربه، وهم قليلون: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ حِمْلًا لِّمَنْ رَزَقْنَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ﴿٤٢﴾ (هود: ٤٠ - ٤٢)، أرسل الله -عز وجل- بعد ذلك من السماء مطراً غزيراً لم تعهد الأرض قبله، كأنه أفواه القرب، وأمر الأرض بأن تتفجر فيها المياه، فنبتت من جميع فجاجها وسائر أرجائها، فاجتمع ماء السماء وماء الأرض؛ ليحصل جرّاء ذلك الطوفان العظيم الذي قدره الله لهلاك الكافرين، والسفينة

الصغيرة تسير وسط هذه الأمواج المتلاطمة بحفظ الله - عز وجل - ورعايته: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ۝١٠ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّهِمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسِّرَ ۝١٣ تَجْرَىٰ بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤ ﴾ (القمر: ١٠ - ١٤).

وبذلك انتهت نهاية هؤلاء الكافرين الذين لم يستجيبوا لأمر نبيهم، بل فضلوا الخضوع للأصنام عن الخضوع لرب العباد.

وفي وسط تلك الأمواج المتلاطمة تحركت عاطفة الأبوة عند نوح - عليه السلام - وتذكر ولده فناداه الأب؛ ليركب معه في السفينة؛ لينجو من الغرق، ولكن ظلمة الكفر طمست على بصيرته، وأصر على عصيانه، وظن أنه سيلجأ إلى جبل مرتفع ولن يصل الماء إليه، فلم يستجب الولد لنداء أبيه، وظن أن ما يجري عوارض طبيعية عادية، وكان يأمل أن ينجو بدون ركوب السفينة، فقال لأبيه: سألجأ إلى جبل لا يصل الماء إليه، فرد عليه أبوه: ليس هناك أية قوة تحول بين أحد وبين الغرق الذي قدره الله اليوم على الكافرين، وأبى الابن أن يستجيب لنداء أبيه، فكان من المغرقين: ﴿ وَهِيَ تَجْرَىٰ بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبُنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ۝٤٢ ﴾ قَالَ سَاوِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ

﴿الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾
(هود: ٤٢ - ٤٣).

لقد ثارت الشفقة في قلب نوح على ولده، فسأل الله - عز وجل - بعد ما تحقق من هلاكه أن ينجيه الله، فأجابه الله - عز وجل - بأن ولده كافر، وأن عقيدة البراء من الكفار من أساسيات التوحيد، والذي يجب عليه أن لا يُغلب شفقة الأبوة على حكم الله - عز وجل -:

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ (٤٥) قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾
(هود: ٤٥ - ٤٧)، وبذلك هلك الكفار من تأثير الطوفان.

بعدها أمر الله - عز وجل - الأرض أن تبلع ماءها، وأمر السماء أن تقلع عن المطر، واستوت سفينة نوح - عليه السلام - ومن معه عند جبل يسمى الجودي: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَفُضِيَ الْأَمْرُ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (هود: ٤٤).

رست السفينة عند ذلك الجبل، وأمر الله نوحاً أن ينزل من السفينة إلى الأرض، فهبط بأرض الموصل محفوفاً ببركات من الله هو ومن آمن معه وذرياتهم ممن سيكونون أمماً مؤمنة، وبعضهم سيكونون

أممًا يستمتعون بالدنيا وخيراتها، ولكن لن ينالوا بركة الله؛ لأنهم سينحرفون عن جادة الحق، وسيغويهم الشيطان، ويؤدي بهم إلى عذاب الله في الدنيا والآخرة، ﴿قِيلَ يٰنُوحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنُنْعُهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (هود: ٤٨).

وفي نهاية القصة وجه الله خطابه إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - قائلاً: تلك القصة التي قصصناها عليك عن نوح وقومه هي من أخبار الغيب، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك على هذا الوجه من الدقة والتفصيل من قبل هذا الوحي الذي أوحينا به إليك، فاصبر على إيذاء قومك كما صبر نوح من قبلك؛ فإن عاقبتك الفوز مثل نوح، والعاقبة الطيبة دائماً للمتقين، ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (هود: ٤٩)، وقد صدق الله وعده ونصر الله رسوله محمداً - صلى الله عليه وسلم - على أعدائه كما نصر نوحاً من قبل، وسينصر الله - جل وتعالى - أتباعهم إلى يوم الدين.

تكذيب قوم نوح



قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَجْجَنَهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَعْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٤].

لقد كذب قوم نوح رسولهم فأغرقهم الله وأنجى نوحًا والذين آمنوا معه بعد أن دعا عليهم ونصر نوحًا وكان من أمرهم أن فتح الله أبواب السماء بالماء وفجر الأرض بالعيون فالتقى ماء الأرض بماء السماء فركب نوح السفينة التي صنعها بأمر الله تعالى من الألواح والمسامير فجرت بهم قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٤]، فهم عمون عن الحق مكذبون بنوح عبد الله ورسوله مشركون بخالقهم منكرون برسالات ربهم.

قيل: إن المطر الذي نزل عليهم كأفواه القرب وتفجرت الأرض بالعيون القوية وقد أركب نوح بالسفينة الحيوانات من كل زوجين اثنين لئلا ينقطع نسلها وسارت بهم السفينة بإذن الله واستقرت على الجودي وهو جبل بالموصل شمال العراق وبعد جفاف الأرض نزلوا وأغرق الذين كذبوا بآيات الله.

إن هؤلاء الكفرة العصاة كانوا يؤذون نوحًا ويسخرون من المؤمنين ويطيعون الشياطين ويعبدون الأصنام أهلكهم الله وأبقى المؤمنين قال الله تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسِّرِ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ٩ - ١٤].

وكان نوح قد دعا عليهم بقوله: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا﴾ ﴿٦١﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦ - ٢٧]، وهكذا مآل المكذبين المتكبرين المعاندين ونصر المؤمنين المصدقين فهل

يستيقظ أولئك الضالون المكذبون برسولنا محمد ﷺ الناكبون عن الصراط المستقيم وهم يرون الفيضانات يظهر في وقتنا الحاضر في كل مكان وتهلك الحرث والنسل - نسأل الله العافية ونجاة المؤمنين -.

قال قوم نوح لنوح إنه: ﴿مَجْنُونٌ وَاذْجِرْ﴾ [القمر: ٩]، فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ففتح الله أبواب السماء بهاء منهمر وفجر الأرض عيوناً فالتقى ماء السماء بهاء الأرض على أمر قد قدر وحمل الله نوحاً وقومه على سفينة ذات ألواح ودسر تجري بأمر الله وبأعينه وذلك جزاء من كفر فدعا نوح على أهل الأرض المكذبين قائلاً: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [٢٦] إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦ - ٢٧]، وقال الله تعالى عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٤]، لهذا أهلكهم الله لعماهم وشركهم وتكذبيهم لعبده ورسوله نوح ﷺ.

قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٤]. أي: عمين عن الحق.

لقد أغرقهم الله عامة بسبب شركهم وتكذبيهم لنوح ﷺ وإنكارهم لرسالته وللتوحيد فلما يئس منهم دعا عليهم فنزل عليهم مطر عظيم كأفواه القرب وتفجرت الأرض بالعيون وارتفع الماء إلى أعالي الجبال فأنجاه الله ومن آمن معه بالسفينة وأركب معهم من كل الحيوانات زوجين اثنين

وسارت بهم السفينة حتى استوت على الجودي وهو جبل بالموصل شمال العراق ونزلوا هناك بعد جفاف الأرض وهكذا مصير المكذبين المعاندين للرسول المشركين بالله تعالى.

طغيان قوم نوح وإهلاكهم



قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٣٣).

ولقد أرسل الله نوحاً إلى قومه ليدعوهم إلى عبادة الله وحده: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الأعراف: ٥٩).

وكان قوم نوح يعبدون الأصنام فطغوا، وتمردوا واستكبروا: ﴿وَقَالُوا لَا نَدْرَأُ الْهَتْمَ وَلَا نُدْرِنُ وَذَا وَلَا سِوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (نوح: ٢٣).

وقد دعا نوح قومه ولبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ﴾ (العنكبوت: ١٤).

ولكن قوم نوح لم يستجيبوا له ولم ينتفعوا بنصحه بل أنكر أشرافهم نبوته واتهموه بالكذب وقالوا إن أتباعه من الفقراء والضعفاء الذين لا فكر لهم

ولا رؤية قال تعالى: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرْنَكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ (هود: ٢٧).

واستمر نوح عليه السلام في دعوة قومه وتلطف بهم ودعاهم في كل مناسبة ليلاً ونهاراً سرّاً وجهاراً فما آمن معه إلا قليل أما الأكثرون فقد كذبوه وسخروا منه واتهموه بالجنون وحالوا بينه وبين تبليغ رسالة ربه وهددوه بالرجم إن لم ينته: ﴿ قَالُوا لَنْ نَمُوتَ بِسَبَبِكَ يَا نُوْحُ لَتَكُوْنَنَّ مِنَ الْمَرْجُوْمِيْنَ ﴾ (الشعراء: ١١٦).

ولكن نوح لم يبال بتهديدهم فواصل دعوته لهم حتى إذا ضاق ذرعاً باستكبارهم ، واستهزائهم لجأ إلى ربه بهذه الشكوى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۗ ٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۖ ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعَهُمْ فِيءَ إِذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۗ ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۗ ٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۗ ٩ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۗ ١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۗ ١١ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ (نوح: ٥-١٢).

فلما أيس نوح عليه السلام من إيمان قومه ، وهددوه بالقتل وأذوه ومن آمن معه فما كان منه إلا أن دعا عليهم بقوله: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مَن

﴿الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ ٣٦ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٣٧﴾
(نوح: ٢٦ - ٢٧).

وقد استجاب الله دعاء نوح عليه السلام، وقضى بهلاك قوم نوح بالغرق وأمره أن يصنع سفينة النجاة ليركب فيها والمؤمنون معه: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا نَبْتَسُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ٣٦ ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَّوَحِّينَا وَلَا تَخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾ (هود: ٣٦ - ٣٧).

ولما أتم نوح عليه السلام صنع السفينة وظهرت علامات بدء العذاب بتفجير العيون من الأرض ونزول الماء من السماء أمر الله نوحاً بأن يحمل فيها من الأحياء والحيوانات زوجين اثنين ذكراً وأنثى ل يبقى ويستمر نسلها كما أمره الله أن يحمل معه أهله ما عدا من كفر منهم ، وهم إحدى زوجاته وأحد أبنائه كما أمر الله أيضاً أن يحمل معه المؤمنين به وهم قليل قال تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ٤٠ ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبْنَهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ٤١ ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾ ٤٢ ﴿قَالَ سَاوِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَّعِصْمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِن أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَهُ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ (هود: ٤٠ - ٤٣).

ثم أخذت نوحاً عاطفة الشفقة على ولده فطلب من ربه أن ينجيه من الهلاك : ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ ٤٥ قال ينوح إنه ليس من أهلي لأنه عمل غير صالح فلا تستلن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين ﴿ (هود: ٤٥ - ٤٦).

ولما أهلك الله الكفار بالغرق أمر الله الأرض أن تبلع الماء وأمر السماء أن تكف عن المطر فاستوت السفينة راسية على جبل الجودي بالموصل و قضي الأمر وأهلك الظالمون : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (هود: ٤٤).

وبعد أن استوت السفينة على الجبل ، أمر الله نوحاً أن ينزل ومن معه محفوفاً بالسلام والبركات : ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمُومٍ مِّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (هود: ٤٨).

وهكذا نصر الله نوحاً والمؤمنين معه وأهلك من كفر به وجعلهم عبرة للناس : ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ ٧٦ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ (الأنبياء: ٧٦ - ٧٧).

ثم جعل الله في ذرية نوح وإبراهيم عليهما السلام النبوة و الكتاب كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (الحديد: ٢٦).

أول الرسل نوح ﷺ



قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾

[النساء: ١٦٣].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال سكين وعدي بن زيد: "يا محمد، ما نعلم الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى فأنزل الله في ذلك ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ (الطبري: ١٠٨٤٠-٩/٤٠٠)."

وعن أبي ذر قال: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ الْأَنْبِيَاءُ؟ قَالَ: مِائَةٌ أَلْفٍ وَعِشْرُونَ أَلْفًا. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةٌ عَشْرًا جَمًّا غَفِيرًا" (١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "كَانَ عُمُرُ آدَمَ أَلْفَ سَنَةٍ" قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "وَبَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ أَلْفُ سَنَةٍ، وَبَيْنَ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ أَلْفُ سَنَةٍ، وَبَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى سَبْعُمِائَةٍ سَنَةٍ، وَبَيْنَ مُوسَى وَعِيسَى خَمْسُمِائَةٍ سَنَةٍ، وَبَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتْمِائَةٍ سَنَةٍ" (٢).

فنوح أبو البشر الثاني وأول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض بعد وقوع الشرك في بني آدم بعبادة الأصنام ثم أهلكهم الله تعالى بالغرق العام وهو

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٣٦١).

(٢) رواه الحاكم في مستدرکه (٤١٧٢) ٢/٦٥٤.

أطول الرسل عمراً ولم يصب بهرم ولا عمى ولا صمم وقد كان كامل القوى في البدن والعقل والحواس وكان الناس قبله على الفطرة، ثم ظهر منهم الشرك فأرسل الله إليهم نوحاً لينذر الناس من الشرك ويدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وعن قتادة: "أن نوحاً بعث من الجزيرة وهوذا من أرض الشحر أرض مهرة وصالحاً من الحجر ولوطاً من سدوم وشعبياً من مدين ومات إبراهيم وآدم وإسحاق ويوسف بأرض فلسطين وقتل يحيى بن زكريا بدمشق"^(١).

والذين عصوا نوحاً أشرف القوم وسادتهم كما هي العادة حيث قالوا: ﴿إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠]، ولبت يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً وآمن منهم قرابة المائة فكذبوه .

قال تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ [القمر: ٩].

(١) رواه ابن أبي حاتم وابن عساكر وانظر الدر المنثور ٣/ ٤٨١ .

المدة التي بين نوح وآدم



عن زيد بن سلام، قال سمعت أبا سلام، قال: سمعت أبا أمامة:

أن رجلاً قال: يا رسول الله، أنبي كان آدم؟

قال: نعم، مكلم.

قال: فكم كان بينه وبين نوح؟

قال: عشرة قرون. (ابن حبان: ٦١٩٠)

وفي تفسير الطبري عن عكرمة قال: كان بين آدم ونوح، عشرة قرون

كلهم على الإسلام. (الطبري: ٦٣٩/٢٣)

فإن كان المراد بالقرن مائة سنة - كما هو المتبادر عند كثير من الناس -

فبينهما ألف سنة.

وإن كان المراد بالقرن، الجيل من الناس، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ

أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ (الإسراء: ١٧).

فقد كان الجيل قبل نوح، يعمر الدهر الطويلة، فعلى هذا يكون بين

آدم ونوح، ألوف من السنين، والله أعلم.

بِحِثِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ



فنوح عليه السلام، إنما بعثه الله تعالى، لما عبدت الأصنام والطواغيت، وشرع الناس في الضلالة والكفر، فبعثه الله رحمة للعباد، فكان أول رسول، بعث إلى أهل الأرض، كما يقول له أهل الموقف يوم القيامة. وكان قومه يقال لهم: بنو راسب، فيما ذكره ابن جرير، وغيره. (الطبري ١٧٤/١، ١٧٩).

وقد ذكر الله قصته، وما كان من قومه، وما أنزل بمن كفر به من العذاب بالظوفان، وكيف أنجاه وأصحاب السفينة في غير ما موضع من كتابه العزيز.

قال تعالى في سورة هود: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَبكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَبَكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّى الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ (هود: ٢٥ - ٢٧).

لما انتشر الفساد في الأرض، وعم البلاد بعبادة الأصنام فيها، بعث الله عبده ورسوله نوحاً عليه السلام، يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له،

وينهى عن عبادة ما سواه. فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، كما ثبت عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة قال:

((أبوكم آدم فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقتك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟

فيقول: ربي غضب غضباً، لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، ونهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحاً، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبداً شكوراً، أما ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك عز وجل؟

فيقول: ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، نفسي نفسي...)). (البخاري: ٣٣٤٠)

أسباب الشرك لدى قوم نوح



كان في قوم نوح رجال صالحون يعبدون الله تعالى وكان لهم أتباع يتبعونهم فلما ماتوا أوحى الشيطان إلى قوم نوح العباد أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد أول الأمر فلما هلك أولئك وانتسخ العلم عبت ثم سرى ذلك فيما يعبد العرب وسول الشيطان لهم بأن هذه الصور كانت تعبد من دون الله أو أن هذه الصور تعينكم على عبادة الله وتشوقكم للعبادة وتذكركم بهم.

وهكذا ضرر الصور وضرر البدع وضرر تقديس الذات والغلو في العباد وضرر التماثيل وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه لما ذكرت عنده أم سلمة وأم حبيبة تلك الكنائس التي رأتها قال: "أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ، أَوْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ" (١).

وقد أشرب قوم نوح بعبادة هذه الصور وطلب الشفاعة منها وسؤالها من دون الله تعالى أو التوسل بها قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَا نَدْرُنَّ الْهَتَكُمْ وَلَا نَدْرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾ لنوح: ٢٣ - ٢٤.

(١) البخاري في الصلاة (٤٣٤)، ومسلم في المساجد (١٦ / ٥٢٨).

موقف نوح من قومه وموقفهم منه



قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ﴾ (الصافات: ٧٧).

وقال فيه، وفي إبراهيم: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾

(الحديد: ٢٦).

أي: كل نبي من بعد نوح، فمن ذريته وكذلك إبراهيم.

وقال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي

كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا

وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ

إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا

﴿١١﴾ وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا

﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ (نوح: ٥ - ١٤).

فذكر أنه دعاهم إلى الله بأنواع الدعوة في الليل، والنهار، والسر،

والإجهار، بالترغيب تارة، والترهيب أخرى. وكل هذا فلم ينجح فيهم بل

استمر أكثرهم على الضلالة والطغيان، وعبادة الأصنام والأوثان، ونصبوا له

العداوة في كل وقت وأوان، وتنقصوه وتنقصوا من آمن به، وتوعدوهم

بالرجم والإخراج، ونالوا منهم وبالغوا في أمرهم.

﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ ﴾ (الأعراف: ٦٠) أي: السادة الكبراء منهم:

﴿ إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٦٠) قَالَ يَقَوْمٍ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ
مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأعراف: ٦٠ - ٦١).

أي: لست كما تزعمون من أني ضال، بل على الهدى المستقيم، رسول من رب العالمين أي: الذي يقول للشيء كن فيكون.

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾
(الأعراف: ٦٢).

وهذا شأن الرسول أن يكون بليغاً أي فصيحاً ناصحاً، أعلم الناس بالله عز وجل.

وقالوا له فيما قالوا: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَنَّكَ إِلَّا بَشَرًا
مِّثْلَنَا وَمَا نَرَنَّكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ
عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ (هود: ٢٧).

تعجبوا أن يكون بشراً رسولاً، وتنقصوا بمن اتبعه، ورأوهم أراذلهم.

وقد قيل: إنهم كانوا من أقياد الناس، وهم ضعفاؤهم كما قال هرقل وهم أتباع الرسل، وما ذاك إلا لأنه لا مانع لهم من اتباع الحق.

وقولهم: ((بادي الرأي)) أي: بمجرد ما دعوتهم استجابوا لك من غير نظر ولا روية، وهذا الذي رموهم به هو عين ما يمدحون بسببه رضي الله

عنهم، فإن الحق الظاهر لا يحتاج إلى روية، ولا فكر، ولا نظر، بل يجب اتباعه والانقياد له متى ظهر.

ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مادحاً للصديق:

((ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له منه عنده كبوة إلا ابن أبي قحافة، فإنه لم يتلعثم)) (الإبانة الكبرى (٩٩) ٤٥٢/٩).

وقال كفرة قوم نوح له ولمن آمن به: ﴿ وَمَا نَزَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نُنظِّئُكُمْ كَذِبِينَ ﴾ (هود: ٢٧).

أي: لم يظهر لكم أمر بعد اتصافكم بالإيمان، ولا مزية علينا.

﴿ بَلْ نُنظِّئُكُمْ كَذِبِينَ ﴾ (٢٧) قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاننِي رَحْمَةً مِّن عِنْدِهِ فَعُمِّيَت عَلَيْكُمْ أَنزِلْ مُكْمُوهَا وَانْتُمْ لَهَا كَاهُونَ ﴿ (هود: ٢٧ - ٢٨).

وهذا تطف في الخطاب معهم، وترفق بهم في الدعوة إلى الحق، كما قال تعالى:

﴿ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِلَا تِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥).

وهذا منه يقول لهم: ﴿ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاننِي رَحْمَةً مِّن عِنْدِهِ ﴾ (هود: ٢٨).

أي: النبوة والرسالة.

﴿فَعَمِيَّتْ عَلَيْكُمْ﴾ (هود: ٢٨) أي: فلم تفهموها، ولم تهتدوا إليها.

﴿أَنْزَلْنَاكُمْوهَا﴾ (هود: ٢٨) أي: أنغصبكم بها، ونجبركم عليها.

﴿وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ﴾ (هود: ٢٨) أي: ليس لي فيكم حيلة، والحالة هذه.

﴿وَيَقَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَآئِنَ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ (هود: ٢٩) أي:
لست أريد منكم أجرة على إبلاغي إياكم، ما ينفعكم في دنياكم، وأخراكم،
إن أطلب ذلك إلا من الله، الذي ثوابه خير لي، وأبقى مما تعطونني أنتم.

وقوله: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا

تَجْهَلُونَ﴾ (هود: ٢٩).

كأنهم طلبوا منه أن يبعد هؤلاء عنه، ووعدوه أن يجتمعوا به إذا هو فعل
ذلك، فأبى عليهم ذلك.

وقال: ﴿إِنَّهُمْ مُلَقُوا رَبِّهِمْ﴾ (هود: ٢٩) أي: فأخاف إن طردتهم أن
يشكوني إلى الله عز وجل.

ولهذا قال: ﴿وَيَقَوْمٍ مِّنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ﴾ (هود: ٣٠).

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾

(هود: ٣١).

أي: بل أنا عبد رسول، لا أعلم من علم الله، إلا ما أعلمني به، ولا أقدر إلا على ما أقدرني عليه، ولا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرراً إلا ما شاء الله.

﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ﴾ (هود: ٣١) يعني من أتباعه.

﴿لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (هود: ٣١).

أي: لا أشهد عليهم بأنهم لا خير لهم، عند الله يوم القيامة، الله أعلم بهم، وسيجازيهم على ما في نفوسهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

وقد تطاول الزمان، والمجادلة بينه وبينهم، كما قال تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (العنكبوت: ١٤).

وكان كل ما انقرض جيل، وصُوبوا من بعدهم بعدم الإيثار به، ومحاربتة، ومخالفتة.

وكان الوالد إذا بلغ ولده، وعقل عنه كلامه، وصَّاه فيما بينه وبينه، أن لا يؤمن بنوح أبداً، ما عاش، ودائماً ما بقي، وكانت سجاياهم تأبى الإيثار، واتباع الحق، ولهذا قال: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا كَفَّارًا﴾ (نوح: ٢٧).

ولهذا قالوا: ﴿قَالُوا يَنْبُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأُنْبِئُكَ بِمَا تَعْدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٣٢) قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمُعْجِزِينَ ﴿ (هود: ٣٢-٣٣).

أي: إنما يقدر على ذلك الله عز وجل، فإنه الذي لا يعجزه شيء، ولا يكثره أمر، بل هو الذي يقول للشيء كن فيكون.

﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (هود: ٣٤).

أي: من يرد الله فتنته، فلن يملك أحد هدايته، هو الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وهو الفعال لما يريد، وهو العزيز الحكيم العليم، بمن يستحق الهداية، ومن يستحق الغواية. وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة.

﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ أَمَنَ فَلَا نَبْتِيسَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (هود: ٣٦).

وهذه تعزية لنوح عليه السلام، في قومه أنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن أي لا يسوأنك ما جرى؛ فإن النصر قريب والنبأ عجيب.

خوف نوح ﷺ من الله تعالى



عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة قال: "فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا قَدْ بَلَّغْنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ

يَغْضَبُ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ تَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ،
نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا
نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سَأَكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا،
اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ
غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ
لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتَهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي" (١). إلى آخر الحديث

لقد دعا نوح قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن الشرك
والمعاصي وحذرهم من مغبة ذلك وجادل وحاوّر وتحمل الأذى والإهانة
من قومه وصبر وصابر وجاهد في الله حق جهاده ألف سنة إلا خمسين عامًا.

﴿ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ
مَنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ
لِتُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغُرَهُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ وَأَسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾
ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا
رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ
لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾

لنوح: ٢ - ١٤.

(١) البخاري في كتاب التفسير (٤٧١٢)، ومسلم في الإيمان (١٩٤ / ٣٢٧).

لقد بذل وسعه في دعوتهم ليلاً ونهاراً وسراً وجهراً وترغيباً وترهيباً وتحمل الأذى وتوعده بالرجم والإخراج من البلد وقالوا عنه: إنه ضال واستضعفه واستهانوا به واستهزأوا وآذوا أتباعه وقالوا له: إنك بشر مثلنا وأن الذين اتبعوك بادي الرأي أراذلنا وليس لكم فضل علينا فأنت كاذب ومن معك كاذبون.

قال تعالى أنهم قالوا: ﴿ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأعراف: ٦٠]، وقالوا: ﴿ مَا نَرُّكَ إِلَّا بَشْرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرُّكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدَائِكَ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ [هود: ٢٧]، وكان يجيبهم نوح ﷺ كما قال الله تعالى عنه: ﴿ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٦١ - ٦٢]، وقوله: ﴿ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَانِئِي رَحْمَةً مِّن عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنزَلْنَاهُمْ مَّا هُمْ كَارِهِونَ ﴾ [هود: ٢٨]، وقوله: ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ٢١].

نوح ﷺ وموقف قومه منه



قال أبو أمامة: أَنَّ رَجُلًا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَبِيٌّ كَانَ آدَمُ؟ قَالَ: "نَعَمْ، مُكَلَّمٌ"، قَالَ: فَكَمْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نُوحٍ؟ قَالَ: "عَشْرَةُ قُرُونٍ" (١).

وفي الطبقات عن عكرمة رضي الله عنها قال: "كَانَ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ عَشْرَةُ قُرُونٍ كُلُّهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ". (الطبقات ٤٢/١)

قال العلماء: الذين كانوا على الإسلام مدتهم عشرة قرون والذين كانوا على الشرك عشرة قرون فلا تناقض بين الحديثين وقد بعث الله تعالى نوحًا لما عبدت الأصنام والطواغيت وضل الناس وكفروا وهو أول رسول بعث إلى أهل الأرض كما يقول له أهل الموقف يوم القيامة (٢).

وقد عذب قومه بالطوفان الذي أغرقهم إلا ما شاء الله ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم فلم يؤمن به إلا القليل قالوا له: ﴿إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠]، وكذبوه وكبر عليهم مقامه وتذكيره بآيات الله وتولوا وأعرضوا وكذبوا وقالوا له: ﴿مَا نَرُّكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرُّكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِأَدَى الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧].

(١) حديث صحيح رواه ابن حبان (٦١٩٠).

(٢) صحيح البخاري في الأنبياء (٣٣٤٠).

وازدروا مهنته التجارة وازدروا قومه وسخروا منه وكفر ابنه وقالوا:
﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ [المؤمنون: ٢٤]، وقالوا: ﴿أَنْزِمُنْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ
الْأَزْدَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]، وطلبوا طردهم من مجالسه وهددوه بالرجم وصار
في كرب عظيم وقالوا: ﴿مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ [القمر: ٤٩]، وما زادتهم دعوته إلا
فراراً من الحق وعناداً حيث ﴿جَعَلُوا أَصْيَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغَشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا
وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٧]، ﴿وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوْلْدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ [٢١] ﴿وَمَكُرُوا
مَكْرًا كَبِيرًا﴾ [٢٢] ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آهْلَهُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ
وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢١ - ٢٣]، وردوا أيديهم في أفواههم وقالوا: إنا كفرنا بما أرسلت
به وإنا لفي شك مما تدعونا إليه مريب، وهموا بقتله وجادلوا بالباطل
ليدحضوا به الحق فهم أظلم الناس وأطغاهم.

قال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ وَأَطغى﴾ [النجم: ٥٢].

وقال تعالى عنهم: ﴿وَكثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

التوحيد ودعوة نوح



قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال: ﴿وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ
دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ

رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿ [الأنبياء: ٢٥]، وقال نوح لقومه:
﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [المؤمنون: ٢٣]، وقال: ﴿ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ
﴿ ٢ ﴾ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴾ [نوح: ٢ - ٣]، وقال: ﴿ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ ﴾ [هود: ٢٦]، وقال: ﴿ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم
مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٢٣].

والآيات في ذلك كثيرة ومجادلته لقومه ومحاورته في مدة ألف سنة إلا
خمسین عامًا تكررت في القرآن الكريم فقد بین لهم أنه لا يسألهم مالا إن أجره
إلا على الله تعالى وقال: لن أطرد الذين طلبتم طردهم من المؤمنين
المستضعفين وقال: ﴿ وَيَقَوْمٍ مِّنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [هود:
٣٠]، ونفى عن نفسه علم الغيب وملك خزائن الله ونفى أن يكون ملكًا ونفى
عن أتباعه الشر والتهم التي اتهمه فيها قومه الكافرون ولما كثر جداله قالوا له:
﴿ يَنْوُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأُنَّا بِنَمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾
[هود: ٣٢]، ثم أوحى الله إليه أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن فلا يجزن عليهم
وأمره بصناعة الفلك ونجاه الله ومن معه من الغرق ونصره عليهم فأغرقوا
وأدخلوا نارًا ودعا عليهم نوح ﷺ قائلاً: ﴿ رَبِّ لَا تَذَر عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ
دَيَّارًا ﴾ ﴿ ٦١ ﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦ - ٢٧].

وبكفر قوم نوح أغرقهم الله بالطوفان فاجتمع فيهم الكفر بالله والكفر
بنوح ﷺ ودعا نوح عليهم فأمره الله بصناعة الفلك وكلما مر عليه ملاً

من قومه سخروا منه وأتاهم العذاب الذي أخزاهم وأغرقهم وهم أشد الأمم عنادًا وكفرًا حتى في الآخرة يجحدون أن يكون جاءهم نذير فتشهد أمة محمد على شهادة نبيا بالحق بأن نوحًا أنذرهم.

روى البخاري عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: "يُجاءُ بنوح يوم القيامة، فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم، يا رب، فتسأل أمته: هل بلغتكم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير، فيقول: من شهودك؟ فيقول: محمد وأمته، فيجاء بكم، فتشهدون" (١).

ما ورد عن صفات السفينة



في تاريخ الأمم والملوك (١ / ١٨٣): أمر الله نوحًا أن يغرّس شجرة ليعمل منها السفينة فغرسها وانتظر مائة سنة ثم نجر الخشب في مائة أخرى وقيل: أربعين سنة وقيل: إنها من الساج وقيل: من الصنوبر وكان طولها كما قال الثوري: ثمانين ذراعًا وعرضها خمسين طليّ ظاهرها وباطنها بالقار وجعل لها جؤجؤًا أزور أي: صدرًا مائلًا يشق الماء.

(١) البخاري (٧٣٤٩).

قال قتادة: كان طولها ثلاثمائة ذراع في عرض خمسين ذراعاً كما في التوراة.
وقال الحسن البصري: ستمائة في عرض ثلاثمائة. وعن ابن عباس: ألف ومائتا ذراع في عرض ستمائة ذراع. وقيل: كان طولها ألفي ذراع وعرضها مائة ذراع وكلهم قالوا: كان ارتفاعها ثلاثين ذراعاً وكانت ثلاث طبقات كل واحدة عشرة أذرع فالسفلي للدواب والوحوش والوسطى للناس والعليا للطيور وكان بابها في عرضها ولها غطاء من فوقها مطبق عليها وحمل عليها من كل زوجين اثنين من كل ما فيه روح وحمل أهله إلا من كفر وسبق عليه القول منهم.

قيل: إن الذي معه في السفينة ثمانون نفساً. وقيل: اثنين وسبعين نفساً. وقيل: عشرة. وقيل: كانوا نوحاً وبنيه الثلاثة وكنائنه أي: امرأة ابنائه وإخوته الأربعة وامرأة يام الذي انخزل وسلك طريق الكفار.

وأمر الله نوحاً أن يحمده الله إذا استوى على السفينة هو ومن معه قال تعالى: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّنا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلِ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [المؤمنون: ٢٨ - ٢٩]، وأمره أن يذكر نعمة الله ويقول: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الزخرف: ١٣ - ١٤]، وقال: ﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرُدَهَا وَمُرْسُهَا إِنَّا رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [هود: ٤١].

وجرت السفينة بأعين الله كما قال تعالى: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا ﴾ [القمر: ١٤].

ابن نوح يام



هذا الابن كفر بالله تعالى وبنبوة أبيه وعمل أعمالاً غير صالحة مخالفاً دين أبيه فأهلكه الله بالغرق قال تعالى: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ أَرْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ٤٢ ﴾ قَالَ سَاوِيَ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ [هود: ٤٢ - ٤٣].

ظن المسكين أن الجبل سيعصمه من الماء ولم يلجأ إلى رحمة الله فحال الموج بينه وبين أبيه فغرق قيل: إن الماء ارتفع على أعلى جبل من الأرض خمسة عشر ذراعاً. وقيل: ثمانين ذراعاً وعم جميع الأرض طولها وعرضها سهلها وحزنها جبالها وقفارها ورمالها وغرق كل من في الأرض إلا الذين حملهم نوح بالسفينة.

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: «لم تكن بقعة في الأرض إلا ولها ملك حائز فقد كان أهل ذلك الزمان قد ملئوا السهل والجبل»^(١).

(١) روى ذلك ابن أبي حاتم في الدر المنثور للسيوطي (٣ / ٩٥).

﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ (٤٥) قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّخِذْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْظَمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ لهود: ٤٥ - ٤٦، بعد ذلك غاض الماء ونقص ورسد السفينة على الجودي وهو جبل عال ونجا الله نوحًا ومن معه وجعلهم خلائف ونصره على القوم المكذبين فصارت السفينة آية للمعتبرين ولم يبق في الأرض كافر.

روت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «لورحم الله أحدًا من قوم نوح لرحم أم الصبي». التي رفعت بيديها ابناها خشية غرقه فغرقت وغرق ابنها^(١).

ذرية نوح هم من بعده وليس في الأرض غيرهم



قال تعالى: وجعلنا ذريته هم الباقين فكل من على وجه الأرض من الأجناس ذرية لنوح فهم من أصل واحد تناسلوا من صلب أبنائه الثلاثة سام وحام ويافت.

عَنْ سَمُرَةَ رضي الله عنها، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «سَامُ أَبُو الْعَرَبِ، وَحَامُ أَبُو الْحَبَشِ، وَيَافِثُ أَبُو الرُّومِ»^(٢).

(١) حديث غريب ذكره ابن جرير في التفسير (١٢ / ٢١) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٣٢٧)

إلى ابن أبي حاتم، والله أعلم.

(٢) صحيح رواه أحمد (٢٠٠٩٩) والثرندي (٣٢٣١).

وقال سعيد بن المسيب عن النبي ﷺ: «العرب وفارس والروم أولاد سام ويأجوج ومأجوج والترك والصقالبة أولاد يافث وولد حام القبط والبربر والسودان»^(١).

نوح ﷺ عبد شكور



قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٤٣]، قيل: إنه كان يسمي الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله وكان يصوم الدهر.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «صَامَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ الدَّهْرَ إِلَّا يَوْمَ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى، وَصَامَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نِصْفَ الدَّهْرِ، وَصَامَ إِبْرَاهِيمُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، صَامَ الدَّهْرَ، وَأَفْطَرَ الدَّهْرَ»^(٢). أي: صام الدهر وأفطر الدهر.

(١) كشف الستار (٢١٨) والمجمع للهيتمي (١٩٨/١) وفيه محمد بن يزيد بن سنان الرهاوي ضعيف

ووثقه ابن حبان وضعفه البخاري ويحيى بن معين.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣٧٠/٥) وقال: ضعيف.

حجة نوح ﷺ



عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حج رسول الله ﷺ فلما بلغ وادي عسفان قال: «يا أبا بكر أي واد هذا؟ قال: هذا وادي عسفان. قال: لقد مر به هود وصالح على بكرات حمر خطمها الليف، أزرهم العباء، وأرديتهم النهار، يلبون يحجون البيت العتيق»^(١).

وصية نوح ﷺ لولده



عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، عَلَيْهِ جُبَّةٌ سِجَانٍ مَزْرُورَةٌ بِالذَّبْيَاحِ، فَقَالَ: أَلَا إِنَّ صَاحِبِكُمْ هَذَا قَدْ وَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابْنِ فَارِسٍ قَالَ: يُرِيدُ أَنْ يَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابْنِ فَارِسٍ، وَيَرْفَعَ كُلَّ رَاعٍ ابْنِ رَاعٍ قَالَ: فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَجَامِعِ جُبَّتِهِ، وَقَالَ: «أَلَا أَرَى عَلَيْكَ لِيَّاسَ مَنْ لَا يَعْقِلُ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا ﷺ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصِرٌ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ: أَمْرُكَ بِائْتِنِ، وَأَنَّهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ، أَمْرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، كُنَّ

(١) رواه أحمد (٢٠٦٧ / ٢٣٣) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده ضعيف لضعف زمعة بن صالح.

حَلَقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمْتُهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةٌ كُلُّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ، وَأَنْتَ عَنِ الشُّرْكِ وَالْكِبْرِ. قَالَ: قُلْتُ أَوْ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذَا الشُّرْكَ قَدْ عَرَفْنَا، فَمَا الْكِبْرُ؟ قَالَ: الْكِبْرُ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا نِعْلَانِ حَسَنَتَانِ لهُمَا شِرَاكَانِ حَسَنَانِ قَالَ: «لَا» قَالَ: هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا حُلَّةٌ يَلْبَسُهَا؟ قَالَ: «لَا» قَالَ: الْكِبْرُ هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا دَابَّةٌ يَرْكَبُهَا؟ قَالَ: «لَا» قَالَ: أَفَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا أَصْحَابٌ يَجْلِسُونَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: «لَا» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا الْكِبْرُ؟ قَالَ: «سَفَهُ الْحَقِّ، وَغَمْصُ النَّاسِ»^(١).

وفاة نوح ﷺ



توفي ﷺ وبعد أن دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً قيل: إنه بعث وعمره أربعمائة عام وثمانون وأنه عاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين عاماً فيكون قد عاش على هذا ألف عام وسبعمائة وثمانين.

قيل: إنه دفن في المسجد الحرام. وقيل: إنه دفن في بلده البقاع كرك نوح.

والله أعلم

(١) إسناده صحيح ولم يخرجوه صحيح أحمد (٢ / ١٦٩، ١٧٠) وقال الشيخ أحمد شاكر (٦٥٨٣): إسناده صحيح.

صنع السفينة و الطوفان



﴿ وَأَصْنَعُ الْفُلَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴾

(هود: ٣٧).

وذلك أن نوحاً عليه السلام، لما يئس من صلاحهم، وفلاحهم، ورأى أنهم لا خير فيهم، وتوصلوا إلى أذيته ومخالفته، وتكذيبه، بكل طريق من فعال، ومقال، دعا عليهم دعوة غضب، فلبى الله دعوته، وأجاب طلبته،

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ

الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ (الصفات: ٧٥ - ٧٦).

وقال تعالى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ ﴾ (القمر: ١٠).

فاجتمع عليهم خطاياهم من كفرهم، وفجورهم، ودعوة نبيهم عليهم، فعند ذلك أمره الله تعالى أن يصنع الفلك؛ وهي السفينة العظيمة التي لم يكن لها نظير قبلها، ولا يكون بعدها مثلها.

وقدم الله تعالى إليه أنه: إذا جاء أمره، وحلَّ بهم بأسه، الذي لا يرد عن القوم المجرمين، أنه لا يعاوده فيهم، ولا يراجعه، فإنه لعله قد تدركه رقة على قومه عند معاينة العذاب النازل بهم، فإنه ليس الخبر كالمعاينة.

ولهذا قال: ﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾ (٣٧) وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ
وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ (هود: ٣٧-٣٨).

أي: يستهزئون به استبعاد الوقوع ما توعدهم به.

﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ (هود: ٣٨).

أي: نحن الذين نسخر منكم، ونتعجب منكم، في استمراركم على
كفركم، وعنادكم، الذي يقتضي وقوع العذاب بكم، وحلوله عليكم.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (هود:
٣٩).

شهادة أمة محمد صلى الله عليه وسلم لنوح عليه السلام بأنه بلغ
الرسالة.

وقد كانت سجاياهم: الكفر الغليظ، والعناد البالغ في الدنيا. وهكذا في
الآخرة، فإنهم يجحدون أيضاً، أن يكون جاءهم رسول.

عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((يجيء نوح عليه السلام وأمته،

فيقول الله عز وجل: هل بلغت؟

فيقول: نعم، أي رب.

فيقول لأمته: هل بلغكم؟

فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي.

فيقول لنوح: من يشهد لك؟

فيقول: محمد وأمته، فنشهد أنه قد بلغ ((البخاري: ٣٣٣٩)

وهو قوله: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ١٤٣).

أمر الله تعالى لنبيه نوح عليه السلام ومن معه بالذكر والحمد عند ركوب الفلك.

قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ (المؤمنون: ٢٨ - ٢٩).

أمره أن يحمد ربه، على ما سخر له من هذه السفينة، فنجاه بها، وفتح بينه وبين قومه، وأقر عينه ممن خالفه وكذبه.

كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾ (الزخرف: ١٢ - ١٤).

وهكذا يؤمر بالدعاء في ابتداء الأمور، أن يكون على الخير والبركة، وأن تكون عاقبتها محمودة.

وقد امثل نوح عليه السلام هذه الوصية ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرُدَهَا وَمُرْسَتْهَا إِنْ رِبِّي لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (هود: ٤١).
أي: على اسم الله ابتداء سيرها، وانتهاءه.

قال الله تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ﴾ (هود: ٤٢) وذلك أن الله تعالى أرسل من السماء مطراً، لم تعهده الأرض قبله، ولا تمطره بعده، كان كأفواه القرب، وأمر الأرض فنبعت من جميع فجاجها، وسائر أرجائها، كما قال تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسِرِ ﴾ (القمر: ١١ - ١٣).
والدسر: يعنى المسامير.

وتجري بأعيننا، أي: بحفظنا، وكلاءتنا، وحراستنا، ومشاهدتنا لها جزاء لمن كان كفر.

وقد ذكر ابن جرير، وغيره، أن الطوفان كان في ثالث عشر، شهر آب، في حساب القبط.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾ (الحاقة: ١١). أي: السفينة.

﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيهَا أذنٌ وَعِيبَةٌ ﴾ (الحاقة: ١٢).

قال جماعة من المفسرين: ارتفع الماء على أعلى جبل بالأرض، خمسة عشر ذراعاً، وهو الذي عند أهل الكتاب.

وقيل: ثمانين ذراعاً، وعمّ جميع الأرض طولها وعرضها، سهلها، وحرزها، وجبالها، وقفارها، ورمالها، ولم يبق على وجه الأرض، ممن كان بها من الأحياء، عين تطرف، ولا صغير، ولا كبير.

قال الإمام مالك، عن زيد بن أسلم: كان أهل ذلك الزمان، قد ملأوا السهل، والجبل ولم تكن بقعة في الأرض، إلا ولها مالك، وحائز.

﴿وَنَادَى نُوحٌ أُمَّتَهُ وَمَنْ فِي الْجَنَّةِ إِنِّي أَخَذْتُ الذِّكْرَ مِنْكُمْ فَأَمْرًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ أَلَمَسْتُمُ الْمَاءَ أَمْ لَمْ تَلْمَسُوا الْمَاءَ فإِنَّكُمْ مِنْ عِندِ اللَّهِ لَمَعْرُوقِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَوَاءٌ أَلَمَسْتُمُ الْمَاءَ أَمْ لَمْ تَلْمَسُوا الْمَاءَ فإِنَّكُمْ مِنْ عِندِ اللَّهِ لَمَعْرُوقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ (هود: ٤٢ - ٤٣).

وهذا الابن هو: يام أخو سام، وقيل: اسمه كنعان.

وكان كافراً عمل عملاً غير صالح، فخالف أباه في دينه ومذهبه، فهلك مع من هلك.

هذا وقد نجا مع أبيه، الأجنب في النسب، لما كانوا موافقين في الدين والمذهب.

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَبَسِّمِي أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ (هود: ٤٤).

أي: لما فرغ من أهل الأرض، ولم يبق منها أحد ممن عبد غير الله عز وجل، أمر الله الأرض أن تبلع ماءها، وأمر السماء أن تقلع أي تمسك عن المطر.

وقال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَبَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (يونس: ٧٣).

ثم قال تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنُنَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (هود: ٤٨).

هذا أمر لنوح عليه السلام، لما نضب الماء عن وجه الأرض، وأمكن السعي فيها، والاستقرار عليها، أن يهبط من السفينة التي كانت قد استقرت بعد سيرها العظيم، على ظهر جبل الجودي، وهو جبل بأرض الجزيرة مشهور.

﴿بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ﴾ (هود: ٤٨) أي: اهبط سالماً مباركاً عليك، وعلى أمم ممن سيولد بعد، أي من أولادك، فإن الله لم يجعل لأحد ممن كان معه من المؤمنين نسلًا ولا عقباً سوى نوح عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ (الصافات: ٧٧) فكل من على وجه الأرض اليوم، من سائر أجناس بني آدم، ينسبون إلى أولاد نوح الثلاثة، وهم: سام، وحام، ويافث.

روى أن النبي ﷺ قال: ((سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم)). (ورواه الترمذي ٣٢٣١ والألباني ضعفه).

عن ابن عباس، قال: كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلاً معهم أهلوه، وإنهم كانوا في السفينة مائة وخمسين يوماً، وإن الله وجّه السفينة إلى مكة، فدارت بالبيت أربعين يوماً، ثم وجّهها إلى الجودي فاستقرت عليه. فبعث نوح عليه السلام الغراب، ليأتيه بخبر الأرض، فذهب فوق علي الجيف فأبطأ عليه.

فبعث الحمامة فأتته بورق الزيتون، ولطخت رجليها بالطين، فعرف نوح أن الماء قد نضب، فهبط إلى أسفل الجودي، فابتنى قرية وسمّاها ثمانين، فأصبحوا ذات يوم، وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة، إحداها العربي، وكان بعضهم لا يفقه كلام بعض، فكان نوح عليه السلام يعبر عنهم.

وقال قتادة وغيره: ركبوا في السفينة في اليوم العاشر من شهر رجب، فساروا مائة وخمسين يوماً، واستقرت بهم على الجودي شهراً. وكان خروجهم من السفينة في يوم عاشوراء من المحرم.

عن ابن عباس قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة، فرأى اليهود يصومون يوم عاشوراء فقال:

((ما هذا اليوم الذي تصومون؟))

قالوا: هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم، قال: فصامه موسى.

قال رسول الله ﷺ: ((أنا أحق بموسى منكم))، قال: فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصومه (أحمد: ٢٦٤٤).

وقال لأصحابه: من كان أصبح منكم صائماً فليتم صومه، ومن كان من غداء أهله، فليتم بقية يومه)). (أحمد: ٨٧١٦)

وهذا الحديث له شاهد في الصحيح من وجه آخر.

(ذكر شيء من أخبار نوح نفسه عليه السلام وعبادته)

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (الإسراء: ٣).

قيل: أنه كان يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله.

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها". (مسلم: ٢٧٣٤)

فضائل نوح ﷺ



١ - أنه أول رسول بعثه الله للناس وكان بينه وبين آدم عشرة قرون كانوا على التوحيد قال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ﴾ [الإسراء: ١٧]، فلما ظهر الشرك في الأرض أرسل الله نوحًا.

عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث الشفاعة وفيه: «يأتون نوحًا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض» (١) ... إلى آخر الحديث.

٢ - إن الله سماه عبدًا شكورًا فقال: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: ١٣]، فقد عرف نعم الله واستعملها على الوجه اللائق بها وكان الشكر سبب إنجائه ومن معه.

قال الزمخشري: «كان إذا أكل قال: الحمد لله الذي أطعمني ولو شاء أجاجني وإذا شرب قال: الحمد لله الذي سقاني ولو شاء أظمأني وإذا اكتسى قال: الحمد لله الذي كساني ولو شاء أعراني» (٢).

وقال ابن كثير: «الشَّكُورَ هُوَ الَّذِي يَعْمَلُ بِجَمِيعِ الطَّاعَاتِ الْقَلْبِيَّةِ وَالْقَوْلِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ» (١).


(١) رواه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

(٢) الكشاف (٢ / ٦٤٨).

٣ - هو أحد أولي العزم من الرسل قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٢٣]. وقال: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [الأحزاب: ١٧].

٤ - أن الله جعل في ذريته النبوة والكتاب قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾ [الحديد: ٢٦]، فكل الأنبياء والرسل من ذريته ﷺ.

٥ - إن الله استجاب دعاءه ونجاه من الكرب العظيم وجعل ذريته هم الباقين قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحَ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧٥].

٦ - إن الله جعل له الذكر الحسن قال تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ (٧٨)  سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات: ٧٨ - ٧٩].

٧ - أن الباقين في الأرض كلهم إلى اليوم من ذريته قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ [الصافات: ١٧٧]. قيل: إن كل من في السفينة مات إلا أبناؤه الثلاثة سام وحام ويافث وأزواجهم.

قال ﷺ: «سَامٌ أَبُو الْعَرَبِ، وَحَامٌ أَبُو الْحَبَشِ، وَيَافِثُ أَبُو الرُّومِ» (٢).

(١) قصص الأنبياء (٩١).

(٢) رواه الترمذي (٣٢٣١) وصححه.

٨- ثبت تحية السلام في نوح من الملائكة والثقلين وهي كرامة لبقاء ذكره وتسليم العالمين عليه لأنه محسن عبد مؤمن موقن.

قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الصافات: ٧٨ - ٨١].

ذِكْرُ صَوْمِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ



عن عبد الله بن عمرو يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

"صام نوح الدهر إلا يوم الفطر والأضحى، وصام داود نصف الدهر، وصام إبراهيم ثلاثة أيام من كل شهر". (شعب الإيمان للبيهقي: ٣٨٤٦ وقال: ضعيف)

بَابُ مَا جَاءَ فِي صِيَامِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ



حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ أَبِي سَهْلٍ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ عَنِ ابْنِ هَيْعَةَ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ أَبِي فِرَاسٍ: أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «صَامَ نُوحٌ الدَّهْرَ، إِلَّا يَوْمَ الْفِطْرِ وَيَوْمَ الْأَضْحَى» (١).

(١) سنن ابن ماجه (١٧١٤).

حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ شَيْبِلٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنَاسٍ مِنَ الْيَهُودِ قَدْ صَامُوا يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: «مَا هَذَا مِنَ الصَّوْمِ؟» قَالُوا: هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي نَجَّى اللَّهُ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْغَرَقِ، وَغَرَّقَ فِيهِ فِرْعَوْنَ، وَهَذَا يَوْمٌ اسْتَوَتْ فِيهِ السَّفِينَةُ عَلَى الْجُودِيِّ، فَصَامَ نُوحٌ وَمُوسَى شُكْرًا لِلَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى، وَأَحَقُّ بِصَوْمِ هَذَا الْيَوْمِ»، فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالصَّوْمِ (١).

حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمٌ بِبَدْرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسْرَى؟» قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَوْمُكَ وَأَهْلُكَ، اسْتَبَقْتَهُمْ، وَاسْتَأْنَبْتَهُمْ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، قَالَ: وَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْرَجُوكَ وَكَذَّبُوكَ، قَرَّبْتَهُمْ فَأَضْرَبُ أَعْنَاقَهُمْ، قَالَ: وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، انْظُرْ وَادِيًا كَثِيرَ الْحَطَبِ، فَأَدْخِلْهُمْ فِيهِ، ثُمَّ أَضْرِمْ عَلَيْهِمْ نَارًا قَالَ: فَقَالَ الْعَبَّاسُ: فَطَعْتَ رَحِمَكَ، قَالَ: فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا، قَالَ: فَقَالَ نَاسٌ: يَأْخُذُ بِقَوْلِ أَبِي بَكْرٍ، وَقَالَ نَاسٌ: يَأْخُذُ

(١) مسند أحمد (٨٧١٧).

بِقَوْلِ عُمَرَ، وَقَالَ نَاسٌ: يَا أُخْدُ بِقَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ، قَالَ: فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُلِينُ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ، حَتَّى تَكُونَ أَلَيْنَ مِنَ اللَّبَنِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيَشُدُّ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ، حَتَّى تَكُونَ أَشَدَّ مِنَ الْحِجَارَةِ، وَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمِثْلِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، قَالَ: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وَمِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمِثْلِ عِيسَى قَالَ: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، وَإِنَّ مِثْلَكَ يَا عُمَرَ كَمِثْلِ نُوحٍ قَالَ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، وَإِنَّ مِثْلَكَ يَا عُمَرَ كَمِثْلِ مُوسَى، قَالَ: رَبِّ ﴿وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]، أَنْتُمْ عَالَّةٌ، فَلَا يَنْفَلِتَنَّ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا بِفِدَاءٍ، أَوْ ضَرْبَةٍ عُنُقٍ» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا سُهَيْلُ ابْنِ بَيْضَاءَ، فَإِنِّي قَدْ سَمِعْتُهُ يَذْكُرُ الْإِسْلَامَ، قَالَ: فَسَكَتَ، قَالَ: فَمَا رَأَيْتَنِي فِي يَوْمٍ، أَخَوْفَ أَنْ تَقَعَ عَلَيَّ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ حَتَّى قَالَ: «إِلَّا سُهَيْلُ ابْنُ بَيْضَاءَ» قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخَّرَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

[الأَنْفَال: ٦٧] ، إِلَى قَوْلِهِ ﴿لَوْلَا كُنْتُ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

[الأَنْفَال: ٦٨] (١)

حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ يَعْنِي ابْنَ عَمْرٍو: حَدَّثَنَا زَائِدَةُ: فَذَكَرَ نَحْوَهُ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «إِلَّا سُهَيْلُ ابْنِ بَيْضَاءٍ»، وَقَالَ فِي قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عِثْرَتِكَ وَأَصْلُكَ وَقَوْمُكَ، تَجَاوَزَ عَنْهُمْ، يَسْتَنْقِذُهُمُ اللَّهُ بِكَ مِنَ النَّارِ، قَالَ: وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْتَ بَوَادٍ كَثِيرٍ الْحَطَبِ، فَأَضْرِمُهُ نَارًا، ثُمَّ أَلْقِهِمْ فِيهِ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: قَطَعَ اللَّهُ رَحِمَكَ (٢).

حَدَّثَنَا هُوسَيْنٌ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ يَعْنِي ابْنَ حَازِمٍ عَنْ الْأَعْمَشِ، فَذَكَرَ نَحْوَهُ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْدَاءُ اللَّهِ، كَذَّبُوكَ، وَأَذَوْكَ، وَأَخْرَجُوكَ، وَقَاتَلُوكَ، وَأَنْتَ بَوَادٍ كَثِيرٍ الْحَطَبِ، فَاجْمَعْ لَهُمْ حَطَبًا كَثِيرًا، ثُمَّ أَضْرِمُهُ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: سَهْلُ ابْنِ بَيْضَاءٍ (٣).

(١) مسند أحمد (٣٦٣٢)

(٢) مسند أحمد (٣٦٣٣).

(٣) مسند أحمد (٣٦٣٤).

بَابُ بَدْءِ الْوَحْيِ



قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُغِيرَةَ الْبُخَارِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - آمِينَ: كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ وَقَوْلُ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣] (١).

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنِ الصَّقْعَبِيِّ بْنِ زُهَيْرٍ، عَنْ زَيْدِ ابْنِ أَسْلَمٍ، قَالَ حَمَّادٌ: أَظُنُّهُ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، عَلَيْهِ جُبَّةٌ سِيحَانٍ مَزْرُورَةٌ بِالْدِّيَابِجِ، فَقَالَ: أَلَا إِنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا قَدْ وَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابْنِ فَارِسٍ قَالَ: يُرِيدُ أَنْ يَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابْنِ فَارِسٍ، وَيَرْفَعُ كُلَّ رَاعٍ ابْنِ رَاعٍ قَالَ: فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَجَامِعِ جُبَّتِهِ، وَقَالَ: «أَلَا أَرَى عَلَيْكَ لِبَاسَ مَنْ لَا يَعْقِلُ» ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا ﷺ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ: آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَأكَ عَنْ اثْنَتَيْنِ، آمُرُكَ بِإِلَهِ إِلَّا إِلَهَ اللَّهِ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا

(١) صحيح البخاري في كتاب بدء الوحي تعليقا.

اللَّهُ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بَيْنَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمْتُهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةٌ كُلُّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ، وَأَنْهَكَ عَنِ الشَّرِكِ وَالْكَبْرِ». قَالَ: قُلْتُ أَوْ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذَا الشَّرِكُ قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَمَا الْكَبْرُ؟ قَالَ: الْكَبْرُ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا نَعْلَانِ حَسْتَانِ لهُمَا شِرَاكَانِ حَسْنَانِ قَالَ: «لَا» قَالَ: هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا حُلَّةٌ يَلْبَسُهَا؟ قَالَ: «لَا» قَالَ: الْكَبْرُ هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا دَابَّةٌ يَرْكَبُهَا؟ قَالَ: «لَا» قَالَ: أَفَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا أَصْحَابٌ يَجْلِسُونَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: «لَا» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا الْكَبْرُ؟ قَالَ: «سَفَهُ الْحَقِّ، وَغَمَصُ النَّاسِ»^(١).

حَدَّثَنَا رَوْحٌ، مِنْ كِتَابِهِ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: حَدَّثَ الْحَسَنُ عَنْ سَمُرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «سَامُ أَبُو الْعَرَبِ، وَيَافِثُ أَبُو الرُّومِ، وَحَامُ أَبُو الْحَبَشِ»، وَقَالَ رَوْحٌ بَبْغَدَادَ مِنْ حِفْظِهِ: «وَلَدُ نُوحٍ ثَلَاثَةٌ سَامُ وَحَامُ وَيَافِثُ»^(٢).

حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ رَاشِدٍ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ وَأَبُو أُسَامَةَ - وَاللَّفْظُ لَجَرِيرٍ - عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ - وَقَالَ أَبُو أُسَامَةَ: حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ

(١) مسند أحمد (٦٥٨٣).

(٢) مسند أحمد (٢٠١١٤).

الْحُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُدْعَى نُوحُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَغْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. وَالْوَسَطُ: الْعَدْلُ (١).

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرِ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي دَعْوَةٍ، «فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ الدَّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً»، وَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، هَلْ تَدْرُونَ بِمَنْ يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُبْصِرُهُمُ النَّاطِرُ وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَلَا تَرَوْنَ إِلَيَّ مَا أَنْتُمْ فِيهِ، إِلَيَّ مَا بَلَغْتُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَيَّ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَيَّ رَبِّكُمْ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَبُوكُمْ آدَمُ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ، أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا بَلَغْنَا؟

(١) صحيح البخاري (٤٤٨٧).

فَيَقُولُ: رَبِّي غَضِبَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَنَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، أَمَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا بَلَّغْنَا، أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اتُّوا النَّبِيَّ ﷺ، فَيَأْتُونِي فَأَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيَقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، وَاسْأَلْ تُعْطَىٰ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ: لَا أَحْفَظُ سَائِرَهُ^(١).

أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ قَالَ: حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ أَوْسٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: «إِنَّ نُوحًا ﷺ نَارَعَهُ الشَّيْطَانُ فِي عَوْدِ الْكُرْمِ، فَقَالَ: هَذَا لِي، وَقَالَ: هَذَا لِي، فَاصْطَلَحَا عَلَىٰ أَنْ لِنُوحٍ ثُلُثُهَا، وَلِلشَّيْطَانِ ثُلُثُهَا»^(٢).

وَقَالَ سَالِمٌ: قَالَ ابْنُ عُمَرَ: ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِي النَّاسِ، فَأَتَانِي عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَالَ فَقَالَ: «إِنِّي أَنْذَرْتُكُمْوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أَنْذَرَهُ

(١) صحيح البخاري (٣٣٤٠).

(٢) سنن النسائي (٥٧٢٩).

قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنْ سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيُّ لِقَوْمِهِ،
تَعَلَّمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرٌ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ» (١).

قَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ: ﴿عَيْشَةَ رَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: ٢١]: «يُرِيدُ فِيهَا الرِّضَا»،
﴿الْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: ٢٧]: «الْمَوْتَةَ الْأُولَى الَّتِي مُتُّهَا لَمْ أَحْيَ بَعْدَهَا»، ﴿مَنْ أَحَدَ عَنْهُ
حَاجِرِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧]: «أَحَدٌ يَكُونُ لِلْجَمْعِ وَلِلْوَاحِدِ» وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿الْوَتِينَ﴾
[الحاقة: ٤٦]: «نِيَاطُ الْقَلْبِ» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿طَغَى﴾ [طه: ٢٤]: «كَثُرَ، وَيُقَالُ:
﴿بِالطَّاعِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥]: بِطُغْيَانِهِمْ، وَيُقَالُ: طَغَتْ عَلَى الْحَزَّانِ كَمَا طَغَى الْمَاءُ عَلَى
قَوْمِ نُوحٍ» (٢).

حَدَّثَنَا عَبْدَانُ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ عَنْ يُونُسَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ سَأَلْتُ:
وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ فَاتْنَى عَلَى اللَّهِ
بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَالَ فَقَالَ: «إِنِّي لَا أَنْذِرُكُمْ هُوَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَهُ
قَوْمَهُ، وَلَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيُّ لِقَوْمِهِ:
تَعَلَّمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرٌ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ» (٣).

(١) صحيح البخاري (٣٠٥٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير باب رقم (٦١) سورة الحاقة تعليقا.

(٣) صحيح البخاري (٣٣٣٧).

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى، هَلْ بَلَغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيُّ رَبِّ، فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لَا مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيِّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ، فَشَهِدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وَالْوَسْطُ: الْعَدْلُ (١).

حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ: حَدَّثَنَا شَيْبَانُ عَنْ يَحْيَى، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا عَنِ الدَّجَالِ، مَا حَدَّثَ بِهِ نَبِيٌّ قَوْمَهُ؟ إِنَّهُ أَعْوَرٌ، وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ بِمِثَالِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالَّتِي يَقُولُ: إِنَّهَا الْجَنَّةُ، هِيَ النَّارُ، وَإِنِّي أُنذِرُكُمْ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ» (٢).

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ (هود: ٢٥) ﴿وَأَتَى عَلَيْهِمْ نَبَأٌ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكَّرِي بِعَايِنَتِ

(١) صحيح البخاري (٣٣٣٩).

(٢) صحيح البخاري (٣٣٣٨).

اللَّهُ ﷻ [يونس: ٧١] إِلَى قَوْلِهِ ﷻ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﷻ [يونس: ٧٢] إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ﷻ [نوح: ١] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ (١).

حَدَّثَنَا حَسَنٌ: حَدَّثَنَا ابْنُ هَيْعَةَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤَذَّنُ لَهُ بِالسُّجُودِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤَذَّنُ لَهُ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ، فَأَنْظُرَ إِلَى بَيْنِ يَدَيَّ، فَأَعْرِفَ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ، وَمَنْ خَلْفِي مِثْلُ ذَلِكَ، وَعَنْ يَمِينِي مِثْلُ ذَلِكَ، وَعَنْ شِمَالِي مِثْلُ ذَلِكَ». فَقَالَ: رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَعْرِفُ أُمَّتَكَ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ فِيمَا بَيْنَ نُوحٍ إِلَى أُمَّتِكَ؟ قَالَ: «هُمْ غُرٌّ مُحَجَّلُونَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، لَيْسَ أَحَدٌ كَذَلِكَ غَيْرُهُمْ، وَأَعْرِفُهُمْ أَنَّهُمْ يُؤْتُونَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَأَعْرِفُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ» (٢).

حَدَّثَنَا هُجَيْبُ بْنُ إِسْحَاقَ، شَكَ فِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ أَوْ أَبَا الدَّرْدَاءِ، قَالَ يَحْيَى، فَيَقُولُ: «فَأَعْرِفُهُمْ أَنْ نُورَهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَبِأَيْمَانِهِمْ» (٣).

(١) صحيح البخاري كتاب الأنبياء باب (٣).

(٢) مسند أحمد (٢١٧٣٧).

(٣) مسند أحمد (٢١٧٣٨).

حَدَّثَنَا يَعْمَرُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هُيَعَةَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نَفِيرٍ: أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا ذَرٍّ وَأَبَا الدَّرْدَاءِ، قَالَا: قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ فِي السُّجُودِ». فَذَكَرَ مَعْنَاهُ^(١).

حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُطَوَّلُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ عَلَى النَّاسِ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:
انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ، فَيَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّنَا، فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ،
فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى
رَبِّكَ فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنْ اتُّوا نُوحًا رَأْسَ النَّبِيِّينَ
فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ
هُنَاكُمْ، وَلَكِنْ اتُّوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ اللَّهِ فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، اشْفَعْ لَنَا
إِلَى رَبِّكَ فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنْ اتُّوا مُوسَى الَّذِي
اصْطَفَاهُ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ، قَالَ: فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى اشْفَعْ لَنَا إِلَى
رَبِّكَ فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنْ اتُّوا عِيسَى رُوحَ اللَّهِ
وَكَلِمَتَهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا،
فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنْ اتُّوا مُحَمَّدًا فَإِنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، فَإِنَّهُ قَدْ حَضَرَ

(١) مسند أحمد (٢١٧٣٩).

اليوم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيقول عيسى: أرايتم لو كان متاع في وعاء قد حنم عليه، هل كان يُقدر على ما في الوعاء حتى يفض الحاتم؟ فيقولون: لا، قال: فإن محمدًا خاتم النبيين، قال: فقال رسول الله ﷺ: «فيأتوني فيقولون: يا محمد اشفع لنا إلى ربك فليقض بيننا». قال: «فأقول: نعم، فاتي باب الجنة، فأخذ بحلقة الباب فأستفتح، فيقال: من أنت؟ فأقول: محمد فيفتح لي فأخبر ساجدًا، فأحمد ربي بمحامد لم يحمده بها أحد كان قبلي، ولا يحمده بها أحد كان بعدي، فيقول: ارفع رأسك، وقل يسمع منك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فيقول: أي رب، أممي أممي، فيقال: أخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان»، قال: «فأخرجهم ثم أخرج ساجدًا، فأحمده بمحامد لم يحمده بها أحد كان قبلي، ولا يحمده بها أحد كان بعدي، فيقال لي: ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: «أي رب، أممي أممي، فيقال: أخرج من كان في قلبه مثقال برة من إيمان»، قال: «فأخرجهم»، قال: «ثم أخرج ساجدًا، فأقول مثل ذلك، فيقال: أخرج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، قال: فأخرجهم»^(١).

(١) مسند أحمد (١٣٥٩٠).

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ: أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ بِحَجَّةِ الْوَدَاعِ، وَالنَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَلَا نَدْرِي مَا حَجَّةُ الْوَدَاعِ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ ذَكَرَ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ فَاطْنَبَ فِي ذِكْرِهِ، وَقَالَ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ، أَنْذَرَهُ نُوحٌ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ، وَإِنَّهُ يُخْرِجُ فِيكُمْ، فَمَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَأْنِهِ فَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ: أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ عَلَى مَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ ثَلَاثًا، إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّهُ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، إِلَّا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بِلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، إِلَّا هَلْ بَلَغْتُ» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ - ثَلَاثًا - وَيَلِكُمْ، أَوْ وَيَحْكُمْ، انظُرُوا، لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»^(١).

(١) صحيح البخاري (٤٤٠٣، ٤٤٠٢).

بَابُ ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفْرًا﴾ [القمر: ١٤]



قَالَ قَتَادَةُ: «أَبَقِيَ اللَّهُ سَفِينَةَ نُوحٍ حَتَّى أَدْرَكَهَا أَوَائِلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ» (١).

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى: أَخْبَرَنَا هِشَامٌ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ. وَقَالَ عَطَاءٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، «صَارَتِ الْأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدَ أَمَّا وَدُّ: كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوعٌ: فَكَانَتْ هُنْدَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ: فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجُرْفِ، عِنْدَ سَيِّئٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ: فَكَانَتْ لَهُمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ: فَكَانَتْ لِحَمِيرٍ لِآلِ ذِي الْكَلَاعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنْ انْصَبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أَوْلَائِكَ وَتَسَخَّ الْعِلْمُ عُبِدَتْ» (٢).

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير باب (٢).

(٢) صحيح البخاري (٤٩٢٠).

ذكر حجه عليه السلام



عن ابن عباس قال: لما مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي عسفان حين حج قال: "يا أبا بكر، أي واد هذا؟"

قال: هذا وادي عسفان.

قال: "لقد مرّ هود وصالح على بكرات حمر خطمها الليف، أزرهم العباء وأرديتهم النار يلبون يحجون البيت العتيق". (أحمد: ٢٠٦٨ وضعفه)

موقف نوح من قومه



أرسل الله تعالى نوحًا عليه السلام بعد أن أشرك قومه لينذرهم قبل أن يأتيهم عذاب الله الأليم فقال لهم: إني نذير مبين فاعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا ولا تطيعوا الشيطان وأطيعوا الله واتقوه ليغفر لكم من ذنوبكم ويجيركم من عذابه ويؤخركم إلى أجل مسمى قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ۝٣ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾ [نوح: ١ - ٤].

لقد دعا قومه ليلاً ونهاراً فما زادهم ذلك إلا بُعداً عن الحق ونفرة منه وكان كلما دعاهم وضعوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً دعاهم سرّاً ودعاهم جهراً ودعاهم علناً ودعاهم خفية وطلب منهم أن يستغفروا الله ليرزقهم، ويرسل السماء عليهم مدراراً، ويمدهم بالمال والبنين، ويجعل لهم جنات، ويجعل لهم أنهاراً، ولكنهم أبوا وعصوا وتجبروا وعلوا وتطاول الزمن عليهم، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، واستمر يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً وهم مصرون على كفرهم وعنادهم حتى أخذهم الطوفان وهم ظالمون ولم يؤمن به قليل وكل جيل يأتي أسوأ من الأول وكان الوالد يوصي ابنه ألا يؤمن بنوح ولا يلدون إلا فاجراً كفاًراً.

وطلبوا من نوح أن يكف عنهم جدهم وأن يأتيهم بما وعدهم من العذاب ﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ [المائدة: ٤١]، والله الحكمة البالغة.

تعزية نوح ﷺ بحكم إيمان من لم يؤمن من قومه



قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ ءَامَنَ فَلَا يَبْتَئِسُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [هود: ٣٦]، فلما يئس نوح من إسلامهم دعا عليهم فأجاب الله دعوته قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾

﴿٦١﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٦﴾ نوح: ٢٦ - ٢٧، فأخذ ﷺ في صناعة الفلك كما أمره ربه فاستهزؤا وسخروا منه وضحكوا واتهموه بالجنون ففتح الله أبواب السماء بالماء المنهمر وفجر الله الأرض بالعيون المتدفقة فحمل أهل بيته إلا من كفر وما آمن معه إلا قليل، وكان من بين من لم يؤمن ابنه كنعان الذي أغرقه الله لم ينفعه لجوؤه للجبل وركب من مع نوح باسم الله مجراها ومرساها وجرت بهم في موج كالجبال ثم استوت السفينة على الجودي وقيل: ﴿يَتَأْرَضُ أَبْلَعِي مَاءَكَ وَيَسْمَأُ قَلْبِي وَيَغِضُ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤].

وسلم نوح ومن معه من الغرق وهبط بسلام وبركات قال تعالى: ﴿قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنُنْعِيهِمْ ثُمَّ يَمْسُهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود: ٤٨].

من كذب رسولاً فقد كذب جميع الرسل



لقد كذب قوم نوح جميع المرسلين منذ نوح إلى محمد ﷺ لأن من كذب واحداً من الأنبياء فقد كذب جميعهم قال تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، فكل نبي يأمر بتصديق من قبله ومن بعده وسمى الله نوحاً أخاهم.

قيل: أخ من الأب وقيل: من الجنس وقيل: أراد أنه واحد منهم.

لقد طلب منهم أن يتقوا الله ويطيعوه فقالوا له: ﴿أَنْزِمْنَا لَكَ وَأَتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]، الأقلون جاهًا ومالًا ونسبًا وحرفة واتهموهم بنياتهم فقال نوح ﷺ: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوَ تَشْعُرُونَ﴾ [الشعراء: ١١٣]، وقال: ﴿وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١٢]، وطلبوا منه طردهم من مجالسه وهددوا نوحًا بالرجم إن لم يترك عيب دينهم وسبهم وسب آلهتهم وطلب نوح من ربه أن يفتح بينه وبينهم فتحًا ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ ١١٧ فافتح بيني وبينهم فتحًا ويحني ومن معي من المؤمنين﴾ [الشعراء: ١١٧-١١٨].

فاستجاب الله دعاءه ونجاه ومن معه في الفلك المشحون التي ملأت بالناس والدواب والمتاع وأغرقهم عن بكرة أبيهم وفي هذا آية للمعتبرين المؤمنين قال تعالى: إن في ذلك لآية ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ١٢١ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٢١-١٢٢].

لقد استجاب الله نداء نوح ودعاه ربه قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحَ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ [الصفات: ٧٥]، إنه نداء الاستغاثة بالله بعد الكرب العظيم الذي أصابه من عصيان قومه ونزل عليه ﴿سَلَّمَ عَلَيْنَا نُوحَ فِي الْأَعْلَامِينَ﴾ [الصفات: ٧٩]، يثني عليه الثناء الحسن إلى يوم القيامة والسلام عند جميع المسلمين من نوح إلى محمد ﷺ وليس مختصًا بأمة محمد ﷺ وهكذا يجزي الله المحسنين ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصفات: ٨٠]، فنوح ﷺ محسن وشاكر لربه

ومؤمن ومخلص وراسخ في الإحسان ﴿ إِنَّا كَذَبْنَاكَ بِحُجْرَةِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ٨٠ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿ [الصفات: ٨٠ - ٨١].

من الفوائد في قصص نوح ﷺ



١ - أن العلاقة التي يتجمع المسلمون عليها ليست الدم ولا النسب ولا العشيرة ولا الأرض ولا الوطن ولا القوم ولا الجنس ولا الحرفة ولا الطبقة ولا اللون ولا اللغة فهذه علاقات لا يكون الحب والبغض عليها لأنها قد تنقطع كما أنها ليست من اختيار الإنسان ولا مما أمر الله تعالى به ورسوله فالعلاقة الحقيقية والوشيجة التي يتجمع عليها الناس هي الدين فالمسلم أخو المسلم قال تعالى: ﴿ يَنْبُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [هود: ٤٦].

إن أباك وابنك وجميع عشيرتك وقبيلتك ليست علاقات يجب لها ويبغض من أجلها إن الصلة بين المؤمنين المتقين فهي الميزان للحب والبغض والولاء والعداء قال إبراهيم ﷺ وقومه المؤمنون لقومهم: ﴿ إِنَّا بَرَاءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴾ [المتحنة: ٤].

٢- يقول العلماء: إن آثار طوفان قوم نوح باقية إلى الآن في الأرض أصدافاً ورواسب وبقايا حيوانات ونباتات مختلفة ومختلطة بمواد بحرية وعظام حيوانات وآلات صناعية وآثار بشرية وتحجرات.

٣- وجوب الاستعانة بالله عند الركوب والنزول والحركات والتقلبات ووجوب حمد الله وذكره وشكره قال تعالى عن نوح ﷺ: ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَحْرِبَهَا وَمُرسِنَهَا ﴾ [هود: ٤١]، وقال: ﴿ فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلِ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّنا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٨].

٤- ينبغي الدعاء عند نزول المنازل وعند الأسفار وغيرها قال تعالى: ﴿ وَقُلِ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٩]، ﴿ وَقُلِ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ [الإسراء: ٨٠].

٥- إذا نزل العذاب شمل الأطفال وغير المذنبين والحيوانات وإن لم يكن عليها ذنوب قال تعالى: ﴿ وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥]، كما أن الله ينجي المؤمنين الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر قال تعالى: ﴿ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَعِيسٍ ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

٦- الله تعالى يجازي الناس بالإيمان والأعمال الصالحة لا بالأنساب ولا يجابي سبحانه أحداً لأجل آبائه وأجداده ولو كانوا رسلاً أو أنبياء أو صالحين.

٧- أهل الرجل هم أبناؤه وزوجاته وأهل بيته وبناته وجميع من ضمه منزله من الأهل والخدم وغيرهم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلِئِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ [الصافات: ٧٥ - ٧٦].

٨- أنه أول من دعا إلى توحيد الله وحده لا شريك له فقال لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وهكذا جميع الرسل من بعده يدعون الناس أولاً إلى عبادة الله وحده وإخلاص التوحيد له سبحانه.

٩- أنه لم يطلب مالاً ولا أجراً على دعوته وهكذا الرسل من بعده قال تعالى عنهم: ﴿وَيَقَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَإِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [هود: ٢٩].

١٠- بين نوح لقومه أن الاستغفار سبب الرزق والمطر وأن التوبة سبب ذلك وسبب القوة قال تعالى عن نوح ﷺ: ﴿وَيَقَوْمٍ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢]. فالاستغفار سبب سقيا الأرض بالمطر والخصوبة في الأرض سببها الاستغفار والغنى سببه الاستغفار والولد سببه الاستغفار.

شكى رجل إلى الحسن الجدوبة فقال له: استغفر الله. وشكى جفاف بستانه فقال: استغفر الله. وشكى إليه آخر الفقر فقال: استغفر الله. وشكى إليه آخر العقم فقال: استغفر الله.

١١- دعا نوح قومه ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً ورجبهم في الثواب العاجل في الدنيا والآجل في الآخرة وصبر صبراً عظيماً ألف سنة إلا خمسين عاماً وخاطبهم بكل الأساليب الرفيعة والشديدة وبرهن لهم بالآيات والأدلة الناصعة ولكن الشيطان والملا من قوم نوح قالوا لهم: لا تذرنا ودّاً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً وأضلوا العامة واستكبروا.

عشر سور من القرآن ذكرت فيها قصة نوح ﷺ



ذكرت قصص نوح في عدة سور من القرآن: الأعراف ويونس وهود والأنبياء والمؤمنون والشعراء والعنكبوت والصفافات واقتربت الساعة وأنزلت فيه سورة كاملة سورة نوح.

وقد أعطى الله نوحاً ﷺ القدرة على المحاوراة والمجادلة بالحق ودعا قومه بأنواع الدعوة في الليل والنهار والسر والعلن والترغيب والترهيب ولكنه لم ينجح فيهم واستمر أكثرهم على الضلال والطغيان وعبادة الأصنام والأوثان وعدوه وتنقصوه وسخروا ممن آمن معه وتوعدوهم بالرجم والإخراج من ديارهم وقالوا له: إنك في ضلال مبين وقال لهم: ﴿يَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف: ٦١ - ٦٢]، وكان بليغاً فصيحاً ناصحاً قوياً وبما أن أتباع المرسلين بادئ ذي بدء هم الضعفاء فالذين آمنوا

برسالة نوح هم الضعفاء ولهذا قال قوم نوح: ﴿وَمَا زَيْنَاكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ وَمَا نَزَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نُنظِّمُكُمْ كَذِبِيك﴾ [هود: ٢٧]، وقد تناول الزمان مع قومه ومجادلته لهم قال تعالى: ﴿فَلَيْثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤].

وكل جيل يعقبه جيل أشد عصيانياً من سابقه ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].

روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِي النَّاسِ، فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَالَ فَقَالَ: «إِنِّي أَنْذَرْتُكُمْ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنْ سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ، تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرٌ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ». (البخاري: ٣٠٥٧)

الإجاب المستنبطة من قصة نوح ﷺ



الأولى: الصبر على الدعوة إلى الله والثبات على الحق ألف سنة إلا خمسين عاماً وهو يجاهدكم الجهاد الكبير جهاد الدعوة.

الثانية: أن الناس إذا خلوا من الدعاة إلى الله دخل فيهم الشيطان فإن قوم نوح طال عليهم الأمد والعهد قرونًا عديدة لم يأتهم رسول قبله فوقعوا بالشرك.

الثالثة: أن البدع والمعاصي تزداد إذا تركت ويعتقدها الناس ويستمرؤون عليها فقوم نوح صوروا الأولياء ليذكروهم بعبادة الله ثم لما تقدم العهد وطال عبدوهم.

الرابعة: أن الجهل سبب خطير من أسباب الشرك والكفر والمعاصي والبدع، والعلم نور للقلب والدين.

الخامسة: أن الداعية يجب عليه الحرص على المستجيبين له ومحبتهم والدفاع عنهم فنوح ﷺ لم يستجب لقومه في إبعاد المستجيبين له من المؤمنين وكذا رسولنا محمد ﷺ قال تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الكهف: ٢٨]، ونوح يقول لقومه: ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ﴾ [هود: ٣١].

السادسة: أهمية الصناعة بأنواعها كالفلك التي هي منة من الله ومنفعة للعباد وكل صناعة لها نفع للعباد ومأمور بها ومستحبة كالطائرات والسفن والسيارات والصواريخ وغيرها.

السابعة: أن الأسباب من الله تعالى وهي لا تدفع بذاتها وإنما النفع من الله تعالى.

الثامنة: أن التسمية مطلوبة عند ركوب الفلك قال نوح: ﴿بِسْمِ اللَّهِ
مَجْرِبَهَا وَمُرْسَهَا﴾ [هود: ٤١].

التاسعة: أن الأخوة والمحبة والنصرة للمؤمنين وليست للكافرين فولد
نوح ليس من أهله قال تعالى: ﴿قَالَ يَنْفُخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ
فَلَا تَتَّخِذْ مَنِ اسْتَأْذَنَ بِكَ بِهٖ عِلْمٌ إِنَّيْ أَعْطٰكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

العاشر: الحرص على بقاء النسل لهذا حمل نوح من كل زوجين اثنين حتى
يبقى النسل لأنها مسخرة في مصالح العباد وذلك في وفق أمر الله تعالى.

الحادية عشرة: أن قوة الله غالبية ولا حول ولا قوة إلا به ولا عاصم من
أمره إلا رحمته فلا تعصم الجبال ولا الحصون ولا غيرها إلا برحمته سبحانه
قال تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ [هود: ٤٣].

الثانية عشرة: يجب أن يكون العلم هو الحامل للإنسان على القول
والعمل والدعاء وكل شيء لهذا عاتب الله نوحًا لأنه دعا لابنه وهو لا
يستحق الدعاء فقال نوح: ﴿رَبِّ إِنِّي مِنْ أَهْلِي وَإِن وَعَدَكُ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ
الْمُحْكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥]، فقال الله له: ﴿فَلَا تَتَّخِذْ مَنِ اسْتَأْذَنَ بِكَ بِهٖ عِلْمٌ إِنَّيْ أَعْطٰكَ أَنْ
تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦]. فلا يسأل الله إلا بعلم وقد تاب نوح ورجع
إلى ربه فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي
وَتَرْحَمَنِي أَكُنْ مِنَ الْخٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

الثالثة عشرة: الحرص على التوحيد في الدعوة إلى الله فإنه أول ما دعا به نوح وكل الأنبياء ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

الرابعة عشرة: أن الداعي لا يطلب أجراً على دعوته قال نوح لقومه: ﴿يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [هود: ٥١].

الخامسة عشرة: لا يجدر بنا احتقار أحد من المؤمنين فالفضل بيد الله يؤتيه من يشاء قال نوح: ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [هود: ٣١].

السادسة عشرة: حمد الله على النعم وشكره قال الله تعالى لنوح: ﴿فَقُلِ لِلْحَمْدِ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨].

السابعة عشرة: من الآداب: كثرة الذكر والدعاء وسؤال الله البركة وغيرها من الخيرات لهذا يكثر الأنبياء من الدعاء فهذا نوح ﷺ يتضرع إلى الله قائلاً: ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩].

الثامنة عشرة: أن تقوى الله سبب كل خير في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

نوح ﷺ جاور قومه بكل الوسائل وجادلهم بكل الأساليب البليغة



أولاً: قال لهم: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَانِنِي رَحْمَةً مِّن عِنْدِهِ فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمُ النُّزُمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ﴾ [هود: ٢٨]. أخبروني إن كنت صاحب حجة ظاهرة وشاهد يشهد بصدقه لي وآتاني ربي النبوة والبينة الواضحة وأخفيت عنكم وآتاني ربي رحمة من عنده وأخفيت عنكم وأنكرتموها أنلزمكموها ونجبركم على قبولها ﴿وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ﴾ لا تختارونها ولا تتأملون فيها وهذه حجة ظاهرة لنوح على قومه.

ثانياً: قال لهم نوح: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصِيحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤].

إن نصيحتي لكم لا تنفعكم إذا كان الله تعالى يريد إغواءكم، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، والله تعالى يصرف عن آياته المتكبرين قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَن آيَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآئَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦].

ثالثًا: بين لهم أنه لم يسألهم مالا ولا أجرا وإنما أجره على الله فهو سبحانه الذي يشيبي على ذلك في الآخرة والله لا يخلف الميعاد.

رابعًا: امتنع عن طرد المؤمنين فقال: ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ [هود: ٢٩]، فسفه أحلامهم ورفع قيمة المؤمنين على السادة والملا الكفار.

خامسًا: بين أنه من ينصره الله إن طردهم كما طلبوا وأن هذا الظلم لا يمكن أن يحصل منه لأنه وهم ملاقون ربهم فيجازيهم على أعمالهم ونياتهم.

سادسًا: بين لهم أنه لا يعلم الغيب وليس بملك وإنما يقول لهم: إني رسول مبين فإن قلت ذلك فإني من الظالمين ﴿ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ٣١].

وهذه قدرة عظيمة من نوح على المجادلة ولهذا قال له قومه: ﴿ يَنْتُوخُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [هود: ٣٢].

لقد خاصمهم وبالغ في ذلك وأكثر، فمل قومه من الجدال وعجزوا عن مجابته قائلين: ﴿ فَأَيْنَا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ فبين لهم أن الذي يأتيكم به الله إن شاء فأنتم لا تعجزونه والهداية بيد الله ولهذا لن أستطيع هدايتكم ﴿ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ﴾ [هود: ٣٤]. فالله هو الهادي وهو المضل.

بعث نوح ﷺ إلى أرض الجزيرة العربية



أول رسول بعث إلى أرض الجزيرة نوح ﷺ.

عن أنس بن مالك رضي عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَوَّلُ نَبِيٍّ أُرْسِلَ نُوحٌ» (١).

وعن قتادة: «أَنَّ نُوحًا بَعَثَ مِنَ الْجَزِيرَةِ وَهُودًا مِنْ أَرْضِ الشَّحْرِ أَرْضِ مَهْرِهِ وَصَالِحًا مِنَ الْحَجْرِ وَلُوطًا مِنْ سُدُومَ وَشَعْبِيًّا مِنْ مَدْيَنَ وَمَاتَ إِبْرَاهِيمَ وَأَادَمَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ بِأَرْضِ فَلَسْطِينَ وَقَتْلَ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا بِدِمَشْقَ» (٢).

وكان إرساله لما حدث فيها من الشرك بعبدة الأصنام وذلك في غرب الجزيرة بجدة منحوتة من أسماء رجال صالحين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر.

لقد بين لهم أنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]، فكفر به المملأ وهم الأشراف والكبراء والقادة المرموقون بحسنهم وجمالهم وفصاحتهم ومآلهم وجاههم ونسبهم وناستهم وقالوا: ﴿إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠]، فنفى عن نفسه الضلالة وقال: ﴿يَقْوَمُ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١١) أُبَلِّغُكُمْ

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٨٦٢٢).

(٢) رواه ابن أبي حاتم وابن عساكر في الدر المنثور (٤٨١/٣).

رَسَلَكِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿ [الأعراف: ٦١ - ٦٢]،
 وبين لهم أن العجب من كفرهم وليس العجب مما جئت به من الحق والذكر
 فقال: ﴿ أَوْعِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ
 تُرْحَمُونَ ﴿ [الأعراف: ٦٣].

قيل: إن قوم نوح من العرب وأن الذين قبلهم عرب إلى زمن وعصر
 إبراهيم ﷺ وأن لغة الجنة اللغة العربية وهي لغة آدم ﷺ ولما يئس
 ﷺ من استجابتهم لدعوته وخاف على نفسه منهم دعا عليهم فأجاب الله
 دعاءه فنزل عليهم مطر عظيم من السماء كأفواه القرب وتفجرت الأرض
 بالعيون حتى ارتفع الماء فوق رؤوس الجبال فغرقوا عن آخرهم إلا المؤمنين
 الذين أنقذهم الله وركبوا مع نوح السفينة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٦٤] عن الحق والخير
 والهدى فلا يستحقون الحياة والسكنى في أرضه والأكل من نعمه وهم
 يعصونه ويحادون ويعارضون رسوله ويؤذونه ويطيعون شياطينهم ويعبدون
 أصنامهم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [النساء:
 ١٦٣].

عن أبي ذر قال: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ الْأَنْبِيَاءُ؟ قَالَ: مِائَةٌ أَلْفٍ وَعِشْرُونَ أَلْفًا. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمْ الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةٌ عَشَرَ جَمًّا غَيْرًا»^(١).

وعن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنه: «وَبَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ أَلْفُ سَنَةٍ، وَبَيْنَ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ أَلْفُ سَنَةٍ، وَبَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى سَبْعُمِائَةٍ سَنَةٍ، وَبَيْنَ مُوسَى وَعِيسَى خَمْسِمِائَةٍ سَنَةٍ، وَبَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم سِتْمِائَةٍ سَنَةٍ»^(٢).

فنوح أبو البشر الثاني وأول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض بعد وقوع الشرك في بني آدم بعبادة الأصنام ثم أهلكهم الله بالغرق العام بسبب شركهم وضلالهم بدعوته عليهم وهو أطول الرسل عمرًا حيث عمر ألف سنة مع كمال قوته في بدنه وعقله وحواسه ولم يصب بهرم ولا عمي ولا صمم ولا غير ذلك.

نوح أول الرسل إلى الأرض



قال بعضهم: إن إدريس عليه السلام كان قبل نوح وهذا وهم والدليل على صحة ذلك الحديث الصحيح في الإسراء حين لقي النبي صلى الله عليه وسلم آدم وإدريس

(١) رواه ابن حبان (٣٦١) في صحيحه.

(٢) رواه الحاكم ي مستدرکه (٤١٧٢) ٢/٦٥٤.

فقال له آدم: «مرحبًا بالنبى الصالح» وقال له إدريس: «مرحبًا بالنبى الصالح والأخ الصالح».

فلو كان إدريس أبًا لنوح لقال: «مرحبًا بالنبى الصالح والابن الصالح» فلما قال له: «والأخ الصالح» دل على أنه يجتمع معه فى نوح - صلى الله عليهم أجمعين - والخلق كلهم من بعد نوح من ولد نوح ﷺ.

قيل: إن آدم ﷺ نبى وليس رسولاً وأن بعثة نوح ﷺ لإصلاح الناس وحملهم بالعذاب والإهلاك على الإيمان فهو أول نبى أرسل على هذه الصفة.

قال القاضى عياض: «وقد رأيت أبا الحسن بن بطال ذهب إلى أن آدم ليس برسول». والله أعلم.

توكل نوح ﷺ



قال الله تعالى عن نوح ﷺ: ﴿وَأَنذَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِى وَتَذِكْرِى بِنَايَةِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَىٰ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١].

هذا تحدُّ من نوح عليه السلام ضدهم وضد كيدهم وتوكل منه على الله القوي العزيز بأنه لن يسلمه لهم وأنه سينصره لأنه متوكل عليه.

إن عظم وثقل عليكم لبثي فيكم وطول إقامتي عندكم وتذكيري إياكم وتخويفي لكم وترغبون في قتلي أو طردي فلن تستطيعوا ذلك لأنني متوكل على الله تعالى الذي سينصرني عليكم ووعدني بذلك، فالله كافيني أمركم وناصرني إن لم تنصروني ثم تحداهم بأن يجمعوا أمرهم ويستعينوا بشركاءهم وأعدوا ما يستطيعون من قوة واعزموا على قتلي أو طردي وافصحوا عن كيدكم لي ولا يكن أمركم عليكم غمة بل أظهروه واكشفوه ولا تخفوه فتغتموا بكتمانه ولا يكن أمركم ملتبسًا ولا مبهمًا ولا مظلمًا ولا تتأخروا في ذلك ولا تنظرون فأنا واثق بنصر الله غير خائف من كيدكم فأنتم وآهتكم التي تدعون من دون الله لا تنفعون ولا تضررون.

حجة قوم باطلة وجاهنة



احتجوا بعدم اتباع نوح عليه السلام بأن الذين اتبعوه هم أراذل القوم بادئ الرأي.

قيل: هم الخسيسون والسقطاء والسفلة والضعفاء والفقراء. وقيل: هم الحاكة وأهل الصناعات والحجامون والدباغون والكناسون. وقيل: الذين لا حسب لهم.

وهذا عيب باطل وجهل مركب فقد عابوهم بما هو فخر لهم فالصناعات والمهن والحرف شرف للإنسان وكثير من الأنبياء كانوا أصحاب مهنة وغالب أتباع الأنبياء من هؤلاء كما قال هرقل لأبي سفيان: أشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فقال: بل ضعفاؤهم. فقال: هم أتباع الرسل.

قال العلماء: إنما كان ذلك لاستيلاء الرياسة على الأشراف وصعوبة الانفكاك عنها والأنفة من الانقياد للغير.

لما احتجوا بعدم قبول دعوته وهو بشر مثلهم وأنه ومن اتبعوه ليس لهم فضل ﴿ وَمَا نَزَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نُنظِّكُمْ كَذِبِينَ ﴾ [هود: ٢٧].

أما حجج نوح ﷺ فهي قوية:

- ١ - أنه على بينة من أمره.
- ٢ - أن الله آتاه رحمة من عنده.
- ٣ - أنه لم يسألهم مالاً ولا أجراً.
- ٤ - أنهم جهلة والمؤمنون معه يعلمون وسيلاقون ربهم.
- ٥ - أنه ليس عنده خزائن الله.

٦ - أنه لا يعلم الغيب.

٧ - أنه غير ملك.

٨ - أنه لن يظلم الذين آمنوا معه فيطردهم.

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَانِئِي رَحْمَةً مِّن عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنزِلْكُمْ مِّن مَّوَاهِبِهَا وَاتَّخِذُوا لَهَا كُرْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَيَقَوْمِ لَا تَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَآ إِنِّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْتَقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَىٰ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ [هود: ٢٨ - ٣١].

التنور



قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ ﴾ [هود: ٤٠].

اختلف في التنور ما هو؟

١ - قيل: إنه وجه الأرض.

٢ - إنه تنور الخبز الذي يخبز فيه.

٣ - إنه موضع اجتماع الماء في السفينة.

- ٤ - إنه طلوع الفجر ونور الصباح.
- ٥ - إنه مسجد الكوفة وقالوا: اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة.
- ٦ - إنه أعالي الأرض.
- ٧ - إنه العين بالجزيرة (عين الوردية) وهي: بالشام.
- قال ذلك القرطبي وقال: إن هذه الأقوال تجتمع في أن ذلك كان علامة.

الأحاديث الواردة عن نوح ﷺ وقومه



- تدل الأحاديث الواردة عن نوح ﷺ وقومه على أمور منها:
- ١ - أن قومه عبدوا وداً وسواعاً ويغوث ويغوق ونسراً وأن هؤلاء كانوا عباداً صالحين فلما ماتوا نصبوا صورهم ثم بعد هلاك الجيل السابق جاء جيل فعبدوهم فأرسل الله نوحاً ﷺ.
- ٢ - أن نوحاً ﷺ متوكل على الله ولا يخاف من كيد الكفار وقال لهم: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١]. فقد توكل على ربه وتحداهم بأن يقضوا عليه ولا ينظروه فما قدروا ونصره الله تعالى.
- ٣ - أن نوحاً أُنذر قومه من الدجال وكل نبي ينذر قومه منه.

- ٤ - أن من الأدعية التي تطرد الحية من المسكن الاستعاذة منها بعهد نوح وبعهد سليمان بن داود ألا تؤذى فإن عادت تقتل.
- ٥ - أن أمة محمد تشهد يوم القيامة بأن نوحًا أنذر قومه عندما ينكر قومه ذلك ويقولون ما آتانا من نذير.
- ٦ - أن نوحًا أطول الناس عمرًا.
- ٧ - أنه يصوم الدهر عدا يومي الفطر والأضحى.
- ٨ - أن السفينة استوت على الجودي في يوم عاشوراء وأن نوحًا صامه.
- ٩ - أن الله تعالى عاب على نوح في دعائه على قومه حيث قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، وهذا اجتهاد منه ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].
- ١٠ - أن الله أوحى لمحمد كما أوحى إلى نوح والنبين من بعده فهو أول الرسل ﷺ.
- ١١ - أن أولاده الذين يتفرع منهم كل من على الأرض ثلاثة: سام وحام ويافث.
- ١٢ - أن نوحًا يعتذر من الشفاعة الكبرى ويأتون لمحمد ﷺ فيشفع لهم بعد أن يؤذن له بالسجود يوم القيامة، وإليكم الأحاديث الدالة على ذلك.

- ١٣ - أن الله أبقى سفينة نوح حتى أدركها أوائل أمة محمد ﷺ.
- ١٤ - وصية نوح لأولاده.

الإبن الكافر غير الصالح ليس من أهل الوالد



قال الله تعالى عن ولد نوح ﷺ: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ [هود: ٤٦].

فما دام عمله سيئاً فهو ليس من أهل نوح ويسمى الولد عملاً كما يسمى كسباً كما في الخبر: أولادكم من كسبكم. ذكر ذلك القشيري وغيره. وفي هذه الآية تسلية لمن فسد ولده كما أن الابن الصالح من الأهل لغة وشرعاً ومن أهل البيت فمن وصى لأهله دخل في ذلك ابنه.

قال الحسن ومجاهد وغيرهما: الولد للفراش. استدلالاً بقول رسول الله ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر (البخاري: ٢٠٥٣).

ومن أمور الجاهلية: أن ينسب الكافر إلى أهل المسلم وأن يوالي الأب ابنه الكافر ويزعم أنه من أهله فقد نهى الله نوحاً عن ذلك وقال له: ﴿ إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [هود: ٤٦]، أي: أنهاك وأحذرك لئلا تكون من الجاهلين الآثمين وقد تاب نوح ﷺ فقال: ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ [هود: ٤٧].

وهكذا يكون المؤمن ولاؤه ومحبه للمؤمنين وبغضه وعداؤه للكافرين
قال تعالى عن إبراهيم والذين معه: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ
مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءُؤُكُمْ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ﴾ [المتحنة: ٤].

نوح عليه السلام عبداً شكوراً لله تعالى



قال تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: ٣].

أي: يشكر الله على نعمه ولا يرى خيراً إلا من الله.

قال قتادة: كان إذا لبس ثوباً قال: بسم الله وإذا نزع قال: الحمد لله.

وروى معمر عن منصور عن إبراهيم قال: شكره إذا أكل قال: بسم الله
وإذا فرغ من الأكل قال: الحمد لله.

وقال سلمان الفارسي: كان يحمد الله على طعامه.

وقال عمران بن سليم: أنه كان إذا أكل قال: الحمد لله الذي أطعمني
ولو شاء لأجاعني وإذا شرب قال: الحمد لله الذي سقاني ولو شاء لأظمأني
وإذا اكتسى قال: الحمد الذي كساني ولو شاء لأعراني وإذا احتذى قال:

الحمد لله الذي هداني ولو شاء لأحفاني وإذا قضى حاجته قال: الحمد لله الذي أخرج عني الأذى ولو شاء لحبسه في.

والمقصود أنكم أحق بالافتداء به دون آبائكم الجهال^(١).

مدح الله نوحًا بالشكر كما مدحه بكثرة الدعاء وبين أنه استجاب له قال تعالى: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَجَعَلْنَاهُ وَآهْلَهُ مِنْ أَلْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ [الأنبياء: ٧٦ - ٧٧].

لقد كان نوح ﷺ كثير الدعاء ومناداة لله فاستجاب الله له ونجاه وأهله من الكرب العظيم قال نوح ﷺ: ﴿ أَنِّي مَعْلُوبٌ فَأَنْصِرْ ﴾ [القمر: ١٠]، فقال الله: ﴿ فَجَعَلْنَاهُ وَآهْلَهُ مِنْ أَلْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ [الأنبياء: ٧٦]، نجاه من الكرب والغم الشديد ونصره وانتقم من القوم الذين كذبوا بآياته وأغرق كبيرهم وصغيرهم ثم لما بين انتصار الأنبياء ومنهم نوح ﷺ قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، فجميع أهل التوحيد من أمة واحدة على الإسلام ربهم واحد يفردون العبادة لله ومن خرج عن محبة المسلمين السابقين واللاحقين العرب وغيرهم وأحب للقبيلة وللوطن أو اللون أو لأي شيء آخر فهو متقطع الأمر من أهل الأحزاب ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٣].

(١) نقلًا عن كتاب الجامع لأحكام القرآن (١٠ / ٢١٣).

دعوات نوح ﷺ واستجابة الله له



ومن دعاء نوح ﷺ أنه لما ركب في السفينة دعا ربه وسمى بالله ولما هبط على اليابس قال: ﴿ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٩]، ولما كان على الفلك قال: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٨]، ولما خرج من السفينة قال الله تعالى: ﴿ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ ﴾ [هود: ٤٨].

بشره الله السلامة والنجاة وهذه كلها ابتلاء لنوح ومن معه وهي آيات عظيمة لمن اعتبر واختبارات وابتلاء لنوح ومن قبله ومن بعده وعلى المسلم أن يقول حين ينزل منزلاً: اللهم أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين.

وعبر ربنا عن دعاء نوح بالنداء فقال: ﴿ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ [الصفات: ٧٥]، وهذا أبلغ ونجاه الله من الكرب العظيم وعبر تعالى عن كرب نوح بأنه عظيم وأنه نجاه وأهله منه وجعل الله ذريته هم الباقيين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما خرج نوح من السفينة مات من معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساؤه فذلك قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ [الصفات: ٧٧].

وقال آخرون: أن لغير ولد نوح نسلاً لقوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ٣]، ولقوله تعالى: ﴿قِيلَ يَنْوُحُ أَهَيْطُ بِسَلْمٍ مِّتًا وَبَرَكَتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنَمِتُّعُهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِثْنَا عَذَابُ الْيَوْمِ﴾ [هود: ٤٨].

فعلى هذا معنى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ [الصفافات: ٧٧]. أي: دون ذرية من كفر فإننا أغرقناهم فنوح ﷺ محبوب عند جميع الأمم من بعده وشرعه هو الذي وصى الله به ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣].

قال تعالى: ﴿سَلَّمْ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الصفافات: ٧٩]، وقال: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكَ نُجْرَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصفافات: ٨٠]، وقال: ﴿إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصفافات: ٨١]، وجعل الله من شيعته إبراهيم قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْعَةٍ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ [الصفافات: ٨٣].

وكل من اتبع نبياً فهو من شيعته نوح ﷺ ومن أهل دينه وأتباعه وقد ذكرت قصص نوح وقومه في القرآن الكريم مراراً لأنهم أعتى الأمم أهلكتهم الله بالغرق بعامة إلا من آمن وهم قلة قليلة وفي ذلك تسلية لرسولنا محمد ﷺ وتعزية فهو لاء من قومك يا محمد جند من الأحزاب المتقدمين الذين تحزبوا على أنبيائهم وأشدهم قوم نوح وهم أقوى من قومك فأهلكهم الله بعدما أن يقتلوه أو يجسوه أو يعذبوه كما قال تعالى: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِم لِيَأْخُذُوهُ وَجَدُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥]. جادلوا بالشرك لبيطوا الإيوان.

وكان نوح ﷺ من أولي العزم فهم أولو الحزم والصبر وأصحاب الشرائع فنوح صبر على أذى قومه مدة طويلة، وإبراهيم صبر على النار، وموسى صبر على أذى فرعون، ومحمد ﷺ صبر على أذى قومه المتنوع، وعيسى صبر على الزهد في الدنيا وإيذاء قومه له.

امرأة نوح ﷺ خائنة



قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ [التحریم: ١٠].

لا يغني أحد في الآخرة عن قريب ولا نسيب فالإسلام والدين فرق بين المسلم والكافر وكان اسم امرأة نوح والغه واسم امرأة لوط والهة لما قال السبيعي.

والخيانة التي ارتكبتها امرأة نوح تقول: إنه مجنون والخيانة التي ارتكبتها امرأة لوط أنها تخبر عن أضيافه، وكانتا مشركتين أو منافقتين، وكانتا يمان عن نوح ولوط، وتفشيان أسرارهما على المشركين، ومع أنها امرأتان لنبين كريمين لم يغنيا عنهما من الله شيئاً، وقيل: ادخلا النار مع الداخلين فلا

واسطة في نزول العذاب ولا شفاعة قال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

هذا في الآخرة وكذا في الدنيا فالعذاب يدفع بالطاعة.

نوح ﷺ عبد الله



الذي يكذب رسولا واحداً كذب جميع الرسل قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، وقال: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١١ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۝١٢ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ [ق: ١٢ - ١٤]، ولم يقل: كل كذب رسوله بل قال: ﴿ كُلُّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ وقال: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴾ [القمر: ٩]، أي: ازدجر عن دعوى النبوة بالسب والوعيد بالقتل فقال نوح ﷺ: ﴿ أَنِّي مَعْلُوبٌ ﴾ [القمر: ١٠]. أي: غلبوني بتمردهم فنصره الله فانهمر الماء عليهم وغرقوا فالتقى ماء السماء مع ماء الأرض حيث تفجرت العيون فحملة الله ومن آمن معه على السفينة ذات الألواح والمسامير، وجرت بأعين الله تعالى، وبمرأى منه وبأمره تعالى وحفظه وكلاءته.

وهذه عاقبة الكفار المعاندين ونصر المؤمنين الموحدين ونصر لنوح عبد الله وتسميته عبد الله ﴿ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا ﴾ [القمر: ٩]، تكريم له ﷺ وهذا

أعظم تكريم كما قال تعالى عن محمد ﷺ: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩].

قيل: إنه لم ينج من الكفار سوى عوج بن عنق قيل: إن الله نجاه من الغرق لأن نوحًا احتاج إلى خشبة الساج لبناء السفينة لم يمكنه حملها فحمل عوج تلك الخشبة إليه من الشام فشكر الله له ذلك ونجاه من الغرق والله أعلم^(١).

استكبار قوم نوح الكافرين واستخفاف المؤمنين



دعاهم نوح ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً فسدد عدداً عن الإيمان وجعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وغطوا وجوههم لئلا يسمعوا ما يقول نوح ﷺ وعادوه وأصروا على كفرهم واستهزؤا بالمؤمنين وقالوا: ﴿أَنؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]، وطلب منهم نوح أن يستغفروا ربهم إنه كان غفاراً فلم يستغفروا فحبس الله عنهم المطر سنين طويلة وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة وفي الآية الكريمة ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠ - ١٢]. دليل على أن الاستغفار سبب غفران وسبب المطر وسبب الرزق والأولاد والجنات والأنهار.

(١) ذكر ذلك القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن الجزء (١٧/١٣٣).

قال الشعبي: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستسقي فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فأمطروا.

وقال الأوزاعي: خرج الناس يستسقون فقام منهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اللهم إنا سمعناك تقول: ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ [التوبة: ٩١]، وقد أقررنا بالإساءة فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا ورفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا.

وقال ابن صبيح: شكا رجل إلى الحسن الجدوبة فقال: استغفر الله. وشكا آخر إليه الفقر فقال: استغفر الله. وقال له آخر: ادع الله أن يرزقني ولداً. فقال: استغفر الله. فقلنا له في ذلك فقال: وما قلت من عندي شيئاً إن الله تعالى يقول في سورة نوح: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [نوح: ١٠-١٢].

دعوات نوح على قومه



كما أخبره الله بأن قومه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن أيس نوح من قومه فدعا عليهم قائلاً: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦-٢٧]، كما دعا الرسول محمد ﷺ على عتبة وشيبة وأصحابها لعلمه بمآلهم وما كشف له من الغطاء

عن حالهم ثم دعا للمؤمنين من قومه قائلاً: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ
بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا نَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَارًا ﴾ [نوح: ٢٨].

أي: لمن دخل مسجدي ومصلاي مصلياً مصداً بالله. وقيل: المراد لمن
دخل منزلي ودارتي من المؤمنين ﴿ وَلَا نَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَارًا ﴾ [نوح: ٢٨]. أي:
هلاكاً وخراباً ودماراً.

والحمد لله رب العالمين.

ذِكْرُ وَصِيَّتِهِ لَوْلَادِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ



عن عبد الله بن عمرو قال:

كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من أهل البادية عليه
جبة سيحان مزرورة بالديباج فقال: "ألا إن صاحبكم هذا قد وضع كل
فارس ابن فارس"

أو قال: يريد أن يضع كل فارس ابن فارس، ويرفع كل راع ابن راع."

قال: فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجامع جبته وقال: "ألا
أرى عليك لباس من لا يعقل!"

ثم قال: "إن نبي الله نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصية؛ أمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين: أمرك بلا إله إلا الله، فإن السماوات السبع والأرضين السبع، لو وضعت في كفة، ووضعت لا إله إلا الله في كفة، رجحت بهن لا إله إلا الله. ولو أن السماوات السبع، والأرضين السبع، كن حلقة مبهممة، قصمتهن لا إله إلا الله، وسبحان الله وبحمده. فإنها لها صلاة كل شيء، وبها يرزق الخلق. وأنهاك عن الشرك والكبر" (أحمد: ٦٥٤٧) وقال: ضعيف).

والقرآن يقتضي أن نوحاً مكث في قومه بعد البعثة وقبل الطوفان ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون. ثم الله أعلم كم عاش بعد ذلك؟

وأما قبره عليه السلام: فروى ابن جرير والأزرقي عن عبد الرحمن بن سابط أو غيره من التابعين مرسلاً، أن قبر نوح عليه السلام بالمسجد الحرام. وهذا أقوى وأثبت من الذي يذكره كثير من المتأخرين، من أنه ببلدة البقاع تعرف اليوم بكرك نوح، وهناك جامع قد بني بسبب ذلك فيما ذكر. والله أعلم.

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة.....
٧	ترجمة نوح <small>عليه السلام</small>
١٢	حالة الناس قبل بعثة نوح <small>عليه السلام</small>
١٤	أثر دعوة نوح في قومه.....
١٩	تكذيب قوم نوح.....
٢٢	طغيان قوم نوح وإهلاكهم.....
٢٦	أول الرسل نوح <small>عليه السلام</small>
٢٨	المدة التي بين نوح وآدم عليهما السلام.....
٢٩	بعثته <small>عليه السلام</small>
٣١	أسباب الشرك لدى قوم نوح.....

- ٣٢ موقف نوح من قومه وموقفهم منه
- ٣٧ خوف نوح ﷺ من الله تعالى
- ٤٠ نوح ﷺ وموقف قومه منه
- ٤١ التوحيد دعوة نوح ﷺ
- ٤٣ ما ورد عن صفات السفينة
- ٤٥ ابن نوح يام
- ٤٦ ذرية نوح هم من بعده وليس في الأرض غيرهم
- ٤٧ نوح ﷺ عبد شكور
- ٤٨ حجة نوح ﷺ
- ٤٨ وصية نوح ﷺ لولده
- ٤٩ وفاة نوح ﷺ
- ٥٠ صنع السفينة
- ٥٨ فضائل نوح ﷺ
- ٦٠ ذكر صومه ﷺ

- ٦٠ باب ما جاء في صيام نوح عليه السلام.
- ٦٤ باب بدء الوحي
- ٧٤ باب ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفِرَ ﴾
- ٧٥ ذكر حجه ﷺ
- ٧٥ موقف نوح ﷺ من قومه
- ٧٦ تعزية نوح ﷺ بعدم إيمان من لم يؤمن من قومه
- ٧٧ من كذب رسولاً فقد كذب جميع الرسل
- ٧٩ من الفوائد في قصص نوح ﷺ
- ٨٢ عشر سور من القرآن ذكرت فيها قصة نوح ﷺ
- ٨٣ الآداب المستنبطة من قصة نوح ﷺ
- ٨٧ نوح ﷺ حاور قومه بكل الوسائل جادلهم بكل الأساليب البليغة
- ٨٩ بعث نوح ﷺ إلى أرض الجزيرة العربية
- ٩١ نوح أول الرسل إلى الأرض

- ٩٢ توكل نوح ﷺ
- ٩٣ حجة قوم نوح باطلة داحضة
- ٩٥ التنور
- ٩٦ الأحاديث الواردة عن نوح ﷺ وقومه
- ٩٨ الابن الكافر غير الصالح ليس من أهل الوالد
- ٩٩ نوح ﷺ عبد شكور لله تعالى
- ١٠١ دعوات نوح ﷺ واستجابة الله له
- ١٠٣ امرأة نوح ﷺ خائنة
- ١٠٤ نوح ﷺ عبد الله
- ١٠٥ استكبار قوم نوح الكافرين واستغفار المؤمنين
- ١٠٦ دعوات نوح على قومه
- ١٠٧ ذكر وصيته لولده ﷺ
- ١٠٩ الفهرس